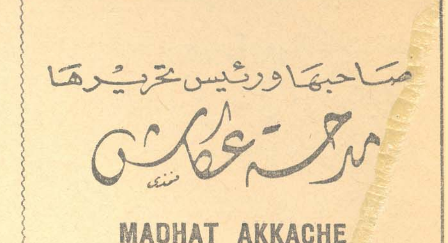


الثقافة
مجلة ثقافية ادبية شهرية
دمشق ص ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

العدد التاسع
شباط (فبراير) ١٩٥٩
السنة الاولى

الاتحاد الادبي ... ومهمته

لعل من ابرز الحوادث الادبية التي مرت بنا هي «تكوين اتحاد ادبي للادباء في الشمال والجنوب .. وطالما كتبت وطلبت الى الادباء العرب ان يتحدوا ، وان يجمعوا كلمتهم وامرهم في هذه التيارات العصيبة ، بعد ان لم يعد الادب انعزالاً وانطواء وبعد ان لم يبق الاديب « بأديب القلم والورق » وانما الادب صلة الاتصال بالناس ، والامتزاج بالاهواء ، والتوجيه العملي نحو الخير والحق .. وانما الاديب من يعتنق هـذه الرسالة ، ويتخذ من نفسه موجهاً ، ورسولاً الى الخير والسلام .

كل هذا ، وما صاحبه من تجسيم لرسالة الادب في كل بلد ، واعتداد لهذه الرسالة المعنوية دعا الادباء العرب - في الجمهورية العربية المتحدة _ الى التفكير في تكوين اتحاد شامل ، تجتمع على صعيده الافكار ، وتأتلف النوازع والمفاهيم المتباينة ، باعتبار ان الادب لا شيء كمثله يمثل التناقض والتباين في تفهم الاشياء والتعبير عنها ، ثم تتساوى هـذه التناقضات ، وتتحد المفاهيم باللباس الفني الذي يشبه الخضرة الصافية التي تلون عالم النبات على اختلاف هذا النبات .

فكان هذا الاتحاد في الاقليم الشمالي ، وفي الاقليم الجنوبي ، وان يكن قد فات الكثير من ارباب القلم ان يتمثلوا في ذلك الاجتماع التاريخي الحافل لمعاذير قاهرة ، فان الاتحاد نفسه ترك الباب مفتوحاً لكل اديب حق ، لأن الاتحاد لم يكن - ولن يكون لمجموعة دون مجموعة ، ولم يمثل ، ولن يمثل اهواء معينة ، او اتجاهات موضوعة .. وانما هو اتحاد لكل من كتب وفكر .. على اختلاف الاتجاه ، وتباين الطرائق .

ولذلك وجد الامين العام للاتحاد من الحق ان يوضح هذه الناحية في الاتحاد بقوله : « ان الاتحاد ليس معناه صهر الافكار

بقلم : خليل الهنداوي

في بوتقة واحدة ، ولا دمج الاهواء في هوى متحد . اذ ليس هذا بمعقول ولا ممكن . فالناس احرار في تفكيرهم ، حريتهم في وسائل تعبيرهم ، وانما الاتحاد معناه ان تشترك هـذه الفئة في وحدة لها شخصيتها المعنوية التي تفرض نفسها على غيرها ، وتبحث عن حقوقهما ، وتؤيد كيانها المتجمع بعد ان اضعفه التفرق .. على النحو الذي اجتمعت من اجله الاتحادات الادبية في العالم ، ولم يكن ولن يكون معنى الاتحاد « توحيد الافكار » ولا صبها في قوالب معينة ، وانما يبقى لكل اديب ثقافته ولونه واتجاهه وعالمه .

نعم ، اننا نؤمن بان العمل الادبي عمل ذاتي ، لايشترك فيه الا مصنع الاديب المبدع ، من عقل وشعور ، ولكن العمل نفسه يشترك في ابداعه كل ما يحيط بالاديب ، لان جذور الشجرة لاتمتد الى قلب الشجرة لتمتص منها ... وانما تتسرب الى ماحولها لتمتصه ، وتمـد به حياة الشجرة التي هي بدورها حياة لغيرها .

ومع ثقتنا بالعمل الادبي الاجتماعي نحب ان نجاري « الذاتيين انفسهم ، فنعتقد معهم بأن « الأنا » في الادب هي المرجع الاول والاخير للاديب ، ولكن هذا لايمنع الاديب الذاتي ان يتعاون مع زملائه ، ويشترك في حياتهم الاجتماعية . وهل يستطيـع الاديب الذاتي ان يحيا بدون قراء ؟ وهل تتبلور فكرته اذا لم تتصل بفكرة غيرها ؟ من هنا يبدأ اتصال الاديب الذاتي بمجتمعه .. وعند هذا الاتصال ، وبسبب هذا الاتصال ندعو الاديب الذاتي الى هذا « الاتحاد » الذي يصون كيانه ، ويحمي حقوق ادبه وتفكيره من المستغلين ، ويعمل على نشر مالا يقدر على نشره للضيق المادي الذي يعانيه نتيجة

لاسرافه في الاعتقاد بعالمه المعنوي .. !

انها مثل عليا نؤمن بها ، كما يشترك غيرنا من تعرضنا في الايمان بها .. هـذه المثل الايجابية القومية التي يتمخض فيها تاريخنا ، وكياننا وحاضرنا نحرص على ان تكون بمنجاة عن اي اتجاه او خصومة . لانها اساس الكيان .

اذاً ، ماهي الشئون التي ينبغي للاتحاد ان يزاولها ؟

لعل شيئاً من هذا قد ورد في قانون الاتحاد .. ولكنه قد ورد كخطوط عامة دون ان يعين الدوافع اليه .. هـذه الدوافع التي كانت ولا تزال تحول بين تكوين الاديب ، وصيانة كيانه الادبي .

لم يكن هنالك نشاط فئة معينة الا نشاط المجمع العلمي الذي كرس جهوده وامكانياته العلمية لاحياء التراث القديم ، وهو التراث الفكري والادبي الذي نعتز به ، ونترك حاضرنا يستقي من معينه . ومهما توزعت آراء المفكرين في قيمة هذا التراث فانه يبقى عملاً محموداً مشكوراً للذين حملوا هذه الاعباء للابقاء على هذه الحلقة التي تصل مابين الحاضر والماضي .

وامام هذا النشاط بتنا نتساءل :

اما هنالك من نشاط آخر يلم بالادب الحديث والفكر الحديث ؟

أليس هنالك من يكتبون ، ويفكرون ، ويبدعون للحاضر ؟ هل اقفرت المواهب الادبية ؟ وهل يبست أرض الابداع الى درجة الجدب) .

الحق ان هنالك كثيرين ممن يؤمنون برسالة الاشعاع الادبي .. وهم يكتبون ويجمعون .. ثم يقفون ، لان هنالك عوامل قاسية تحول بينهم وبين النشر ، لان دور النشر لاتقبل على الاثر المكتوب الا بروح تجارية . وقلما رأيت ناشراً يقدر الادب للأدب ، ويقدم الفكر لقيمة الفكر .

تجاه هذه العوامل المتشابكة التي تجر العجلة الادبية — في الاقليم السوري — الى الوراء وجب على الاتحاد ان يفكر في تشجيع النشر ، وتيسير اسبابه بما يساعد الاديب ويصون قيمة فكره وعمره . وان في الاقليم الجنوبي دوراً تمرست بالنشر ، اصبحت مهمتهـا ان تلتفت الى آثار هذا الاقليم ، ليعاد الى توحيد الفكر والشعور في عملية امتزاج خالصة لوجه الادب .

ومن مشاريع الاتحاد اصدار مجلة ادبية تتلاقى على صفحاتها الافكار ، والتيارات الادبية على اختلافها . وهذه المجلة باتت ضرورية لتوحيد المجهود الادبي ، وجعلها صورة امينة لمايتمخض به الفكر بعد ان اعيت الجهود الفردية في خلق هـذه المجلة . وهذه المجلة كائنة ما كانت — لا يمكن ان تقوم بدون رعاية الحكومة التي جعلت من واجباتهـا رعاية الفكر ، لان كل نهضة لاتهتم بالقيم الفكريـة هي نهضة كسيحة ، لا امل في حياتها وبقائها .

ومن مشاريع الاتحاد — تأسيس ناد كبير ، يضم شتات الادباء ، ويجمع الاحياء الى الاحياء ، فتعيش بذلك ، الافكار بصورة اللحم والدم بعد ان عاشت سطوراً على الورق . ومثل هذا النادي سيكون المحطة الكبرى التي نستطيع ان نطلق عليها « بيت الادباء » وجدير بهذا البيت ان يكون في كل مدينة تريد ان يكون لها نصيبها في رفع دعائم الفكر .

ووراء ذلك تشكيل فئات مختصة من قلب الاتحاد يكون همها تشجيع فنون الادب ، من ذلك الترجمة التي تربط الادب العربي بآداب غيره من الامم ، بعد ان اصبح الادب عالمياً ، يتحد جوهره الخلاق ، ولو اختلفت اساليب التعبير فيه .

ومن ذلك تشجيـع التأليف المسرحي الذي هو اقرب فنون الادب اتصالاً بالشعب . والمسرح الشعبي اصبح اليوم من صميم العمل الادبي ، لانه يخص جميع افراد الشعب بمختلف طبقاتهم . وهو احسن وسيلة لتثقيف الناس والتآلف بين قلوبهم وهو بعد ذلك حياة والوان ومتعة وتربية ، وعامل للثقافة في مختلف اشكالها ، يجلس الشاهد على مقعد امام خشبة المسرح بجانب الاخرين ، فيرى قطعة من فصول الحياة تمثل امامه بكل وقائعها ، كما لو كانت واقعاً حقيقياً بحياة الابطال . حتى اولئك الذين يأتون للمتعة والتسلية ، يجدون الثقافة والتربية تدخل نفوسهم من خلال الفكاهة والهزل دون ان يشعروا بذلك .

ومن عمل الاتحاد تنظيم المؤتمرات في داخل الجمهوريـة وخارجها ، اذ لايجوز ان يتحرك في هذه المؤتمرات اشخاص بدون اختصاص . لان الغرض من هذه المؤتمرات ان يتآلف الادباء ، ويبحثوا مشاكل الفكر والادب بروح واسعة . وينتهوا الى توصيات واعية . كل هذا لايقوم به الا ادباء اخلصوا للأدب ، ووهبوا انتاجهم للشعوب .

وبعد هذا كله نريد من الاتحاد ان يثبت كياننا الادبي ،

البقية على الصفحة « ١٠ »

عرض حال

نثري

رقم «٥»

بقلم :

محمد حيدر

من : ع - ع - ع

الى الاجيال المقبلة

الموضوع : أدب (شعر «مودرن» - قصص واقعية، رسم ، موسيقى ، أدباء ...)

توضيح

نشرنا في العدد الماضي من مجلة «الثقافة» .. عرض حال رقم «١» . وكان من البديهي ، حسب مقتضيات السلسلة العددية ، ان نقلوه عرض حال رقم «٢» . ولا بد ان اقدامنا على تخطي منطق الاعداد ، امر يثير الدهشة .. ولا يغتفر بحال من الاحوال . خاصة في حضارتنا الحديثة القائمة على القوانين والاعداد !! وتوضيحاً للالتباس الآنف الذكر ، وجواباً على التساؤل ، نحب ان نقدم اليكم بعض الملاحظات :

كان العرض الاول ، بمثابة تمهيد للعروض التالية . وقد أوردنا فيه معلومات متنوعة وعامة ، عن الكاتب وعن العروض . وذكرنا ان شخصنا يمارس مهنة التدريس . وكان من الطبيعي ، حسب تسلسل الموضوعات ، ان نقلوه عرض عن شؤون التدريس . وفعلاً كتبنا عرضاً رقم «٢» موضوعه : تربوي . ولكن الشؤون الانسانية ، لاتعترف بمنطق الارقام ، ولا بتسلسل الموضوعات . ولذا سننشر عروضنا حسب أهمية الموضوع من الوجهة الانسانيه ، لاحسب تسلسله العددي او الفكري . ولما كان الادب في الفترة الحاضرة ، من أهم الموضوعات التي يتناولها الجمهور ، فقد حرصنا على تقديمه ونشره بعد العرض الاول مباشرة . ولكننا ، احتراماً لقانون السلسلة العددية ، ولقوانين الرياضيات والحساب والجبر ، لم نشأ ان نتخطى هذه القوانين ، فاحتفظنا للعرض الثاني برقمه حسب التسلسل العددي ، واقدمنا حالياً على نشر العرض الخامس نظراً لاهميته الانسانية . واعتقد انكم تجدون لنا عذراً في هذا الامر .

وسنبدأ الآن بعرضنا الحالي :

* * *

الموضوع : أدب

«في الشعر»

نعترف لكم بان خبرتنا في هذا المضمار قليلة ؛ فنحن لسنا شاعراً ، او قصاصاً ، او رساماً . («يشعر» شخصنا احياناً بالالم ، كما انه «يقص» أظافره بين حين وحين ، و «يرسم» في خياله مشروعات ضخمة للمستقبل .. ولكن طبعاً ليس هذا هو المقصود) .

فنحن ، كما تعلمون ، كاتب لعروض الاحوال ، ننقل مشاعر الناس ومشاكلهم على الورق ، ولا يمكن ان نسمو (بابصارنا طبعاً) الى مراتب الشعراء والادباء الكبار . ان مهنتنا بسيطة جداً ، وموضوعاتنا اكثر بساطة ، مثل : كتابة طلب اخلاء سبيل بكفالة ، او عريضة استرحام ، او طلب رخصة صيد ، او طلب هوية .. هذا هو عملنا . ولكن هذا لايعني ابداً ، اننا - بالنسبة للادب - صفر على الشمال . فنحن نملك بعض المقاييس الشخصية التي نستطيع بواسطتها ان نخوض ، ولو قليلاً ، في البحث . خاصة واننا نظمنا سابقاً بيوتاً كثيرة (من الشعر طبعاً) وان كنا لانستطيع ان نعدها من الشعر . ولكن اطلاعنا على مايسمى بالشعر الحديث «الموضة» يسمح لنا بان نقول ان قصائدنا تفوق بمراحل كل ماينظم الآن تحت عنوان : شعر . لان معظم الشعراء الحديثين ، خاصة الكبار منهم ، ينظمون على هذا المنوال . ولذا نتجرأ على اسماعكم هذه الابيات . (من حسن الحظ ان شخصنا ليس امامكم في هذه اللحظة !!)

خبز وزيتون ..
وقشور الليمون ..
وعمال كادحون ..
على الارض نائمون ..
يأكلون ، يشربون ..
كادحون ..
حون .. حون .. حون ..
وأطفال صغار ..
كالجدار ، كالنهار ..
ينظرون ، في اجترار ..
في اجترار ..
رار ، رار ، رار ..
يالعين !! ياإستعمار ..

يا قرصان !! يا يزنهار ..

لقد نظمنا في الماضي كثيراً من هذا الشعر ، ولكننا أحرقناه خجلاً !! واننا لنشعر الآن بكثير من الأسف والندم لاضاعتنا الفرصة (ذهبية طبعاً) فهذا هو « الشعر » في أدبنا الحديث !!

ان السبب الذي دفعنا للاهتمام بالأدب ، هو ان هذه القضية أصبحت الشغل الشاغل لمعظم مفكري عصرنا : شعراء ، قصاصين ، فنانين ، نقاد .. حتى أنك قلما تجد اثنين الا وكان الادب ثالثهما . وأكثر أنواع الادب ثالثهما . وأكثر أنواع الادب شيوعاً في هذا العصر : الادب الهادف ، الملتزم ، او ادب « التقارير !! » . انه حديث الساعة كما يقولون .

وفي حدود خبرتنا ، وحسب المعلومات التي جمعناها من مصادر شتى ، يمكن القول بأن الادب الهادف ينبع من الحكمة القائلة : ان الشعب مصدر كل شيء للشعب ، وفي خدمته ، وبالتالي يجب على الادب ان يستمد موضوعاته من واقع الشعب ، وان يهدف ايضاً الى خدمة الشعب .. الشعب الطيب المسكين ، البسيط ، الكادح ، المريض ، الجائع .. وانها لعمري فكرة نبيلة لانستطيع الغض من قيمتها بحال من الاحوال !!

وبما ان حاجات الشعب معروفة ، ولذا فالموضوعات الرئيسية التي تدور حولها كل أشكال الفن عند جماعة الادب الهادف .. الملتزم ، هي : **الخبز ، الحرية ، السلام ، الاستعمار الانسانية ، الاقطاعيون ، العمال ، البرجوازيون ، الفلاحون البسطاء ، الاطفال الصغار** .. ومن هنا تلاحظون اننا لم نكن مغالين عندما قلنا بأن افكارهم نبيلة الى اقصى حد . وفعلاً من منا يستطيع ان يستغني عن الخبز ؟ او يقبل ان يتنازل عن حريته ؟ ومن منا لايشعر بالكراهية للبرجوازي ، والاقطاعي ويعطف بذات الوقت على العمال والفلاحين ؟

تلك هي موضوعات هذا الادب . انها بالواقع عناوين او « مانشيتات » الصحف وبالمناسبة ، فقد سمعنا ان اصحاب الصحف يفكرون بتقديم احتجاج وباقامة الدعوى امام المحاكم على هذه السرقات الادبية التي يقوم بها الشعراء الهادفون . وقد عرفنا ذلك ، لانهم طلبوا منا ، باعتبار شخصنا كاتب عروض حال ، واستدعايات ، ان نكتب لهم الصيغة القانونية للدعوى والاحتجاج .

اما الاسلوب الذي يستعملونه للتعبير ، فهو اسلوب تقدمي ويساير روح العصر . ففي الشعر مثلاً ، تحرروا من قواعد اللغة ، والقافية ، والموسيقى الشعرية ، واحياناً يتحررون من الوزن والبحر (طبعاً لانقصد الاوزان المعروفة : كيلو غرام .. ليتر .. أو البحور الجغرافية !!)

اما قاموسهم اللفظي ، فهو معروف : **الدم ، الحقد ، القرصان ، الرصاص ، التراكتور ، الاطفال الصغار ، غصن الزيتون ، الغد المشرق ، الثورة الحمراء ، المطارق النور الوضاء ، الاستعمار ، التتار ، اللص ، الوحش ، الجيفة القذرة** .. ويكفي ان تأخذ موضوعاً من الموضوعات السابقة ، وتستعمل بعضاً من الفاظ القاموس السابق ، لتصبح شاعراً يشار اليه . (بالبنان طبعاً ، وليس بشيء آخر !!)

ان القصيدة التي رويناها لكم اعلاه ، تثبت لكم اننا شاعر دون ان نعلم ، وهذا هو مصدر الاسف على اننا احرقنا كل مانظمناه . ويتجلى لكم صحة قولنا عند مقارنة قصيدتنا بشيء من الشعر الحديث .

فقد قرأنا مرة قصيدة لاحد شعراء الادب الهادف .. او « الموضة » يقول فيها : « وشربت شاياً في الطريق » وقد أعجبنا جداً بالقصيدة لولا هذا البيت الذي وجدناه غريباً اول الامر !! ولكن احد اصدقائنا تطوع بشرحه ، واننا نقدم له الآن جزيل الشكر .

لقد اعترضنا على شرب الشاي بهـذه الطريقة ، لان المألوف ان يشرب الانسان الشاي في البيت او المقهى .. او مايشابه ذلك . اما في الطريق . فكيف ؟! (تخيلنا نفسنا نفعل ذلك ، فتبين لنا اننا نحتاج الى عدة اشخاص : واحد لحمل الماء ، والثاني للبابور ، وآخر للابريق ، ورابع للطواريء .. وشخصنا لشرب الشاي ، ونحن نداعب الكأس بين حين وحين) ولكننا لغفلتنا ، والقصور في فهمنا ، لم نتبين الحكمة في الامر !! لانه (نقصد شرب الشاي في الطريق) كما شرح لنا صديقنا ، دلالة البؤس . انها صورة واقعية !! ثم ، أليس من الجنون ان يشرب الانسان الشاي في المقهى ؟ ؟ اننا بذلك نساهم في تضخيم أرباح اصحاب المقاهي البرجوازيين !! وطبعاً لم نفطن الى هذه الحكمة الاقتصادية ، فاعتذرنا .

وشاعر آخر يبدأ قصيدته بقوله : اسكت ، انني الف مدفع !! وشاعر آخر يقول : الليل مطارق .. الليل بنادق الليل فيالق !! (صدق الله العظيم) .

ان الموضوعات ، والالفاظ ، التي يستعملها شعراء الادب

الهادف ، الملتزم ، الموضة .. المودرن ، هي دائماً من القضايا التي تضعها الصحف على صفحاتها الاولى ، وبأحرف بارزة .. باعتبارها موضوعات الساعة ، السياسية . وقد عمدنا الى اجراء مقارنة بين الصحف اليومية ، والمجلات الادبية ، فاكتشفنا ظاهرة طريفة جدا : فاذا رأيت مانشيتاً » في الصحف اليومية حول ثورة العراق ، مثلا ، او المشانق في عمان ، او جميلة بوحيرد او القمر الصناعي ، رأيت بالمقابل قصيدة قيلت في نفس المعنى في احدى المجلات الاسبوعية او الشهرية .

فعندما استشهد جول جمال واعلنت ذلك الصحف بأحرف كبيرة ، قرأنا قصيدة حول هذا الموضوع . وعندما استشهد جلال دسوقي ، قرأنا ايضا قصيدة عنه . ان استشهاد هذين البطلين العظيمين في سبيل الامة العربية ، وفي معارك الشرف امر مقدس .. وتخليدهما واجب على كل عربي . ونحن نحمد للشعراء هذا العمل . ولكن الذي لفت نظرنا ، ان كلا الشهيدين تحول في قصائد الشعراء الهادفين ، الى انسان لاشخصية له ولاملامح . فلم يظهر لنا من البطلين العظيمين سوى صفاتهم الظاهرية . وفي كل القصائد التي قيلت عنهما ، لافارق بين « جول » و « جلال » سوى الاسم . وقد قمنا بتجربة بسيطة : اخذنا القصائد التي قيلت في جول جمال على حدة ثم عرضناها على بعض القراء ، وبعد ان انتهوا من القراءة ، اعتذرنا لهم وقلنا بأننا اخطأنا ، واعطيناهم بدلا منهـــا القصائد التي قيلت في جلال دسوقي ، على انها قصائد قيلت في جول .. فلم يجـــد أي قارىء فارقاً بين القصائد المذكورة . ثم اعدنا التجربة مع آخرين ، فأعطيناهم قصائد قيلت في بور سعيد ، على انها في ثورة لبنان ، وايضاً لم يلحظ أي قارىء فارقاً بين بور سعيد ولبنان . وهكذا نستطيع ان نستبـــدل قصيدة بأخرى ، وعنواناً بعنوان .. دون اي فارق على الاطلاق !!

ونعطيكم مثالاً جديداً القصيدة التالية :

انا والاخوة ..
بوادي النيل ..
ببور سعيد ..
بفلسطين ..
بأرض الاردن ..
في سوريا ، في لبنان
بكل مكان ..

نقسم لكم اننا وجدناها في كتاب بعنوان : ديوان شعر

والآن ابدأوا من حيث شئتم ، من نهاية الكلام (نخجل ان نسميه شعراً) او من منتصفه . وقلبوه كيفما شئتم .. او اقرأوه من أواخره ، ثم أوله ، فما الفارق ؟! لاشيء !! ومع ذلك يسميه صاحبه ، شعراً . فاذا كان هذا الاسفاف شعراً فسلام على العالمين !! وعلى هذا الاساس ، نحب ان نسمعكم مقطوعة « خرجت » معنا الآن ، خلال الكتابة :

نحن ، والاوراق البيض ..
والشاي ، والكبريت ..
والكاسة ، والابريق ..
وهدوء الليل .
والقنديل ..
وكلاب تنبح ..
وخيال يسرح ..
في ضوء القمة ..
في المسرح ..!!

طبعاً سوف تقولون بأن الكلام لامعنى له وهذا صحيح ولكن هل كان شعرنا السابق ، افضل منا بكثير ؟! نحن ، على الاقل ، لم نضعه في ديوان شعر .

وعندما حدثت ثورة العراق ، تصدى لها ، حسب العادة كثيرون . ومن جملة ماقرأنا ، قصيدة بعنوان : اغنية ليست للعبيد . قال الشاعر :

عبد الكريم .. ياشواظ نار
عبد الكريم لفظة ، تحضنها الحروف
بل تحفة رائعة .. ليست على الرفوف
نكسر السدود
نحطم القيود —
لاننا رعود ..
عبد الكريم .. ويحنا فكلنا جياع
عبد الكريم .. اننا مرضى ، الى ضياع

طبعاً ليس لشخصنا اعتراض على الموضوع .. ولكننا نحب ان نسأل : ماذا عن ثورة العراق ؟ اين هي ؟ كل ماقيل ، بأن عبد الكريم : شواظ نار ، وان اسمه تحضنه الحروف ، ثم هو تحفة ، ولكن اين ؟ ليس على الرفوف !! ؟ لان الكلام الذي سبق ، نهايته : حروف . اذن لابد من كلمة تناسب المقام ، بـ : « وف » وكان ماكان . ترى لو قال الشاعر : تحفة .. ليست على الدفوف ، الكفوف ، تساوي الالوف ..

ما الفارق ؟!

وعندما قرأنا هذه الكلمات ، شعرنا بحزن عميق على الشعب العراقي الشقيق ، فهو جائع ، مريض ، ضائع .. حتى اننا تساءلنا (شخصنا فضولي) كيف اذن يعيش هذا الشعب ؟ كيف قام بالثورة ؟ وقد تطوع الشاعر بتفسير ذلك . فهم يكسرون السدود ، ويحطمون القيود ، لماذا ؟! لانهم رعود !! والعياذ بالله . !! اللهم احمنا ... آمين !!! يارب العالمين .

هذا هو الادب الهادف ، وهذا هو كل ما فاضت به قريحة الشاعر حول هذه الثورة العظيمة !! صور مبتذلة ، ولغة ركيكة ، ونار .. ورعود !!

يقول المثل : والشيء يظهر حسنه الضد . ولذا سننقل لكم ابياتاً من قصيدة قومية بعنوان : « مولد المجد » لشاعر كبير ، ولكنه غير هادف ، ولا ملتزم :

المجد مولده ، على راياتنا ، والدهر بكر
لبست مطارفه دمشق ، وجررت برديه مصر
العاشقان الهاجران تلاقيا ، وانزاح ستر
غنت بوثبتنا ، ذرى مستكبرات الحسن ، خفر
حتى ركزنا في الضحى ، علماً .. وحط عليه صقر
عرب ، وتنمينا الى اعراقها مضر وفهر
يا أسمر الاهرام ، عصف خطاك لامهل ولاخطر
ثم أنت وحدك ، لاصلاح ولا معاوية وعمر
جرح الجزائر لاينهنه دفقه ، فالجرح ثر
قم زلزل الدنيا ، فما يغني سواك ، ولا يضر

« نديم محمد »

قارنوا الان بين هذه القصيدة ، وبين قصائد من الشعر الهادف ، الذي روينا لكم بعضاً منه ، اننا واثقون من نتيجة المقارنة . ألايحق لنا اذن أن نسمي هذا الشعر : **شعر المناسبات** فالشاعر يريد أن ينظم قبل ان تفلت المناسبة من يديه وتضيع أما كيف ينظم ، والى ماذا يهدف ، فهذا ليس مهماً .. المهم أن يقول شيئاً قبل فوات الاوان !!

تلك هي موضوعات الشعر الهادف ! انها عناوين الصحف . ولكن الموضوع الرئيسي الدائم ، هو ، السلام العالمي . وباسم هذا السلام ، يتوجهون بشعرهم للانسانية جمعاء . وهذه لاشك نزعة طيبة جداً . فتراهم يتحدثون عن موسكو وكيف تنسرح فيها التراكتورات ، وعن أسوار الصين العظيمة ، وماوتسي تونغ ، وديان بيان فو ، والاقمار الصناعية ، ولابد لنا من الاعتراف بفضلهم ، وحبهم العميق للبشر ، انهم يطبقون كلمة المسيح : وعلى الارض السلام !!

وقد أتيح لنا أن نشهد حواراً بين صديق لنا ، وهو شاعر هادف كبير ، وبين شاعر صغير ناشيء ، فقد سأله الشاعر الناشيء لماذا لاتقولون شعراً في ثورة العرب الجزائريين .. ومذابح دير ياسين ، وغزة ، وعبد الناصر بطل التحرر العربي ، وقد شعرنا بالجزع على صديقنا الكبير ، لان السؤال محرج فعلاً ، وتوقعنا منه أن يعتذر ، ولكنه أجاب بطريقة لاتخلو من الذكاء فقد انفجر ضاحكاً بشدة حتى اننا خفنا عليه .. لولا أننا نظرنا فرأيناه متمكناً من الكرسي !! ثم التفت الينا وهو يشير بهزء واحتقار كبيرين الى الشاعر الناشيء ، قائلاً : انظر . (وطبعاً نظرنا) تأمل . (وحاولنا ان نتأمل ! !) هذا هو الجهل ، هذا هو جمود الخيال ، هؤلاء هم دعاة التفرقة !! يريد أن نقول شعراً في ثورة الجزائر !! هه.. هه.. من منا لايعرف الجزائر ، وثوار الجزائر ، وتضحيات الجزائر ؟ من منا لا يعرف مذابح دير ياسين ، وغزة ، وخان يونس ؟ من منا لا يعرف بطل التحرر العربي .. عبد الناصر ؟ من .. من ؟!

يجب أن ينطلق بنا الخيال الى بعيد . يجب ان تتسع نظرتنا الى الانسانية جمعاء !! (الانسانية عندهم ان يعيش البشر جميعاً في وطن واحد . ولكن شخصنا يفهم الانسانية بمعنى آخر ، وهي ان نرتفع بالانسان الى مستوى التفكير الاخلاقي) . يجب ان نتحدث عن امور لانعرفها . هناك .. بعيداً .. موسكو وأسوار الصين . هناك .. هناك .. هناك !!

لقد اعجبنا جداً بطريقة الجواب . لقد كانت منطقية الى أدنى حد !! حتى ان الشاعر الناشيء . . شعر بعجزه وبجهله ، فخجل واعتذر !!

واغتنمنا هذه الفرصة ، فقلنا – لنستزيد من علم صاحبنا الغزير – : عظيم . عظيم !! ولكنكم تقولون بأن الشعر يجب ان يستمد موضوعاته من واقع الشعب ، وواقع شعبنا العربي هو . **فلسطين** ، **الجزائر** ، **الوحدة** ، **عبد الناصر** .. وليس

أسوار الصين ، وموسكو ، وديان بيان فو .. والتراكتورات (فكرنا بلفت نظر المسؤولين الى هذه الظاهرة . لان انصرافهم عن قضايا شعبنا العربي ، الى قضايا اخرى لاتمت لشعبنا بصلة ، امر يشكل خيانة قومية لايجوز السكوت عنها) .

ورمقنا صاحبنا بنظرة (طبعاً غير ودية) وتابع حديثه وكأننا لم نسأله : يجب ان يهدف الشعر وكل فنون الادب الى خدمة الشعب . يجب ان نستخدم الشعر كوسيلة للدعاية والاقناع . (خطر ببالنا ان نسأله لماذا لايوزعون شعرهم على شكل مناشير . ولكننا احجمنا خوفاً من نظراته غير الودية) وتابع صاحبنا قوله : هذا هو دور الشعر ، هذا هو معنى الادب الهادف .. الملتزم .. دعاية واقناع . ماقيمة الشعر الذي يتحدث عن العواطف الانسانية : الحب – الجمال – الطبيعة ؟ هذه أمور شخصية !! تفكير بورجوازي ، استعماري . الشعر دعاية .. دعاية . لاتكن جاهلاً . رجعياً (كان يوجه الكلام الى شخصنا) وخوفاً من ان يتابع الكلام ، هززنا له – طبعاً رأسنا – علامة التصديق .

وقد أفدنا ، فعلاً ، من ملاحظات صاحبنا الشاعر الكبير فقد كلفتنا احدى الشركات بكتابة اعلانات لترغيب الناس بالمراوح وحملهم على شرائها ، وبدلاً من كتابة الاعلان نثراً ، فقد نظمناه شعراً ، وبالمناسبة فاننا نحب ان نسمعكم اياه :

مروحة هداره ..
كأنها الجراره ..
مريعة كالغاره ..
تخفف الحراره ..
اشتروها ، بدون استشاره ..
مروحة هداره ..
راه .. راه .. راه ..

(ملاحظة : عدد المراوح محدود في محلات)

لقد كانت النتائج مدهشة . وهذا ماحدا بشركات اخرى للتعاقد معنا ، فنظمنا شعراً في السماد الكيماوي ، وشفرات الحلاقة ، والدراجات النارية ، وأكياس الحمام ، وشربات المانيزا باختصار : نظمنا شعراً في كل شيء .

وقد فكرنا ، نظراً للنجاح المتزايد ، بترك مهنتنا الحالية ككاتب لعروض الاحوال ، وافتتاح محل للدعاية والاعلان بواسطة الشعر . وسوف تشهدون قريباً اعلاناتنا ، واليكم نموذجا عنها الان : اعلنوا عن بضاعتكم في شعرنا . اننا مستعدون لتلبية طلبات الزبائن : اعلانات تجارية – اغذية محفوظة – لوازم البناء !! ملاحظة : المراجعة يومياً في محلات « شركة الشعر الحديث » .

هذا هو الشعر الهادف .. الملتزم .. الموضة .. شعر المناسبات والاعلان والدعاية :

وكالة في الاسلوب ، وابتذال في الصور ، وجمود في الخيال ، وشحوب في اللون الانساني ، واسفاف عجيب !!

لاشخصية للشاعر ، ولا معنى للقصيدة ، مجرد كلام .. بدون ايقاع موسيقي .. ولا وزن ولا بحر .. !! والابطال بدون ملامح ، صيحات هوائية ، حيث يصرخ البطل ، كدون كيشوت : بارود ، مدافع ؟ استعمار ، أنا بطل ، أنا بطل ، ولاشيء غير ذلك !!

« في القصة »

أما القصة ، وهي دائماً واقعية ، فموضوعاتها الرئيسية : الاقطاعي – البرجوازي – جماهير الشعب – الاطفال . ويندر ان تخرج القصة عن ذلك .

أما الاقطاعي ، فهو حقود ، متخم ، ذو كرش ضخم ، والبرجوازي مصاص للدماء والشعب ، يائس ، مريض فقير ، كادح ، والاطفال ، هزيلو الاجسام ، يرتجفون دائماً من البرد ، ثيابهم ممزقة .. ينامون في الطرقات !!

وقد أتيح لنا ان نلتقي ببعض الاقطاعيين ، فوجدنا قسماً منهم من ذوي الكروش الضخمة فعلاً ، ولكن القسم الآخر كان فريسة امراض متعددة ، فبعضهم يشكو من فقر في الدم ، وآخرون مصابون بقرحة في المعدة ، او بأمراض عصبية ، وبعضهم كان طبيب القلب ، اما الذي حيرنا كثيراً ، فهو ان الاطفال في القصص الواقعية ، دائماً بلا آباء ، ويرتجفون من البرد !! وعندما بحثنا عن سر هذه الظاهرة ، تبين لنا – كما افادنا احد كتاب القصة الكبار – بأنه لابد من حبكة القصة الامر الذي غاب عن ذهننا البليد .

ولكن اذا كان مجتمعنا كما يصورونه فعلاً ، فلابد وان يكون قد انهار منذ زمن طويل ، الامر الذي لايتفق مع الواقع بحال من الاحوال . وقد اجتمعنا صدفة بأحد علماء الجغرافيا فسألناه ما اذا كان الطقس في بلادنا يجعل الانسان

يرتجف من البرد في كل الفصول !! وأجابنا بأن بلادنا تقع في المنطقة المعتدلة .. ولكن بعض البلاد الاخرى تصل فيها درجة الحرارة الى مادون الصفر . ولما كان من اغراض الادب الهادف في الشعر وفي القصة ، « استـيراد » المفاهيم والمواضيع من البلاد البعيدة ، انسجاماً مع النزعة الانسانية ، فقد وجـدنا تفسيراً لارتجاف الاطفال من البرد ، في القصص الواقعية !!

ورغم ان شخصنا لايمارس كتابة القصة ، فقد خطر ببالنا ان نفعل ذلك ، فدهشنا عندما تبين لنا اننا نستطيع ذلـك جيداً ، خاصة اذا قورن مانكتب بما يسمى . قصص واقعية واليكم نموذجاً لما كتبناه :

رفع عبود ظهره المنحني على اطار السيارة .. واخذ ينظر الى صاحبها البدين ذي الكرش الضخم ، وقد زين اصبعه بخاتم من الماس . وتدلت من « صدريته » سلسلة الساعة الثمينة التي يحملها ، (لم ننظر الى الساعة ، ولكن عقـدة القصة تقتضي ذلك) وكان يدخن سيجاراً فاخراً (بالواقع لم يكن يدخن ، لانه على مايبدو مصاب بمرض صـدري ، فقد رأيناه يسعل باستمرار) وبالقرب منه وقف صاحب الورشة اللعين .. الذي يمتص دماء العمال !! وهما يضحكان بصوت مرتفع ..

كنا نرغب ان نروي لكم القصة بكاملها ولكن المجال لايتسع الان ، ومن هنا تلاحظون ان مستوى القصص التي نكتبها مقبول الى حد بعيد ، ولا يقل ابـداً عن مستوى القصص الواقعية الحديثة . وقد اهدانا احد اصدقائنا ، وهو موظف في وزارة الزراعة ، قصة نالت جائزة كبرى في احدى الدول التي تؤمن بالادب الواقعي . والح علينا لنقرأها ، فأخذناها شاكرين .

وكنا ، كلما قرأنا صفحة ، تلفتنا حولنا بدهشة !! (خفنا ان يكون قد وقع اختلال في عقلنا) فهل حدث لنا شيء ؟ بحيث صرنا لانفهم مانقرأ ، ام ان صاحبنا اخطأ .. فأهدانا كتاباً في انواع البرسيم والزراعة وتربية الابقار ، بدلاً من القصة المذكورة ؟

لان ماقرأناه كان يدور حول المزارع وتربية الابقار ، وكيف ان البقرة الفلانية تحلب « ١٥٠ » كغ بينما البقرة الفلانية لم تحلب الا « ١٠٠ » كغ . ومن جملة ماورد في الكتاب المذكور ، ان المفتش الحكومي اجرى تحقيقاً حول هذا الموضوع .. فتبين له ان مدير المزرعة قدم للابقار علفاً غير ملائم ، فأمر بمعاقبته .

ونظرنا الى غلاف الكتاب فاذا به قصة فعلاً ، كما ذكر صديقنا الآنف الذكر . فأغلقنا الكتاب وذهبنا من فورنا الى صاحبنا الموظف ، وسألناه عن جلية الامر !! فأجابنا بأن الكتاب المذكور هو قصة ، ولكن بالنظر لاحتوائها على معلومات زراعية دقيقة ، خاصة في تربية البقر ، فقد رأت وزارة الزراعة ان تستفيد من المعلومات التي وردت فيه .

ولما كان شخصنا لايمت للبقر بصلة ، فقد اعدنا له الكتاب شاكرين . ولكننا رجوناه ان يهدينا بعض القصص ، – في حالة وجودها – المتعلقة بتربية الدجاج ؛ حيث اننا نمارس هذه الهواية ، نظراً للفوائد الغذائية التي نحصل عليها من الدجاج . (شخصنا مغرم بلحم الدجاج)

تلك هي القصص الواقعية . لقد تحولت الى محاضرة في الرجعية والتقدمية .. فأصبحت وكأنها منشور سياسي او خطاب انتخابي . وبما أنها « واقعية » فقد تحول بعضها الى تقرير زراعي او اقتصادي ، وغالباً ماتصبح القصة وكأنها « ضبط » يحرره رجال الشرطة والامن .

في الرسم والموسيقى

خبرتنا قليلة جداً بهذا الموضوع . ولكن لنا بعض الملاحظات :

يكفي ان ترسم متسولاً ، او فلاحة تنكش الارض ، ليقال بأنك فنان . وبمجرد ما أن ترى رأس الفلاحة ، يجب ان تخر ساجداً : فلاحة .. فلاحة !! هذا هو الفن . (صدق الله العظيم)

ومن الطرائف التي رأيناها ، وكنا برفقة صديق لنا ، فنان .. (طبعاً غير واقعي !!) صورة حمامة مع غصن زيتون ، وقد كتب على اللوحة : السلام . وعادت بنا الذاكرة الى طفولتنا حيث كنا نرسم حمامة على شجرة . وشعرنا بالحسرة من جراء ذلك ، فقد كنا اذن من الفنانين دون ان نعلم . وعندما سألنا صديقنا عن القيمة الفنية لمثل هذه اللوحات ، ضحك وقال : لوحات ؟! فن ؟! .. صفر على الشمال .

ومن الصـور الشائعة اليوم ، الصور المعبرة عن مآسي الحروب ، وهو موضوع لاغبار عليه . ولكن يكفي ان تكتب كلمة « حرب » وترسم جمجمة وعظمتين متقاطعتين (وهو شعار تستعمله العصابات) لتصبح من كبار الفنانين !!

اما الموسيقى ، فنحن ايضاً قليلو الخبرة في هذا الموضوع . ولكن هذا لايمنع ان شخصنا ، الى حد .. يتذوق مايسمع . (رغم ان اذننا غير حساسة) ولكن الموسيقى الواقعية امر

عجيب، وموضوعاتها اعجب!.

فقد قرأنا في الصحف ان فرقة موسيقية في احدى الدول الاوربية التي تؤمن بالواقعية، قدمت حفلة موسيقية عزفت فيها المقطوعات التالية: «البقرة والتراكتور» قرية تدشن مصنعاً للصلب» اما الديكور الذي زينوا به المسرح، فكان عبارة عن خطوط بيانية لتزايد الانتاج في الدولة المشار اليها اعلاه.

ولم نصدق ما نشر في الصحف اول الامر، ولكن صديقاً لنا يدرس في الدولة المذكورة، اكد لنا صحة الخبر، وارسل الينا تسجيلا للمقطوعتين.

ولما كنا لانستطيع، لقلة الخبرة، ان نحلل وننقد الانغام التي سمعناها. فاننا نكتفي بأن تتصوروا معنا خوار البقرة وصوت التراكتور، وما هي الانغام الناتجة عن انتاج هذين الصوتين!! عدا ذلك، فاننا لم نسمع ابداً عن ديكور لمسرح وفي حفلة موسيقية، يكون مزيناً بخطوط بيانية لكميات الانتاج. ولكن هذا حدث، بفضل العبقرية الواقعية!:

* * *

«أدباء»

عرضنا سابقاً نماذج من الادب. بقي علينا – استكمالاً للموضوع – ان نحدثكم عن الادباء.

لقد وجدنا صعوبة باديء الامر، فعندما اردنا ان نحصي ادباء شعبنا، حصلنا على نتائج مذهلة. حتى خفنا ان يكون قد خاننا منطق الاحصاء. لاننا احصينا مايقرب من الفي فنان، بين شاعر.. وقاص.. ورسام.. وموسيقي. وقد اعتمدنا طبعاً على المجلات والصحف، باعتبارها سجلات عصرنا الحديث. فرأينا ان كل شخص نشر شيئاً في الصحف، كتبوا عنه: الاديب الكبير. اذ يكفي ان تكتب بعض القصاقيص، او تنظم شيئاً من الكلام، او تخربش قليـلا على الورق، او تغني (طبعاً في الحمام) لكي يقال بأنك قاص كبير، وشاعر نحرير، ورسام مبدع، وموسيقي خلاق. «والله اعلم!!»

او يكفي ان تكون مدرساً للأدب في احدى المدارس، لكي توصم بأنك اديب!! حتى اصبح من الامور المألوفة ان ترى شخصاً قـد نفخ اوداجه، ونبش شعره.. وشرشح نفسه!! فاذا سألته.. أجابك بلهجة تخرج من منخريه، ومد صوته وتطاول: ألا ترى؟! انني اديب!! (طظ!!)

وطبعاً عمدنا الى غربلة النتائج التي حصلنا عليها من الصحف فسقط كثير.. وبقي لدينا عدد محدود، يمكن ان نطلق على معظمهم، من قبيل المجز، كلمة: اديب!!

ولكن هؤلاء بالواقـع، هم الذين يتصدرون الموائد (موائد الطعام طبعاً) ويذهبون للمؤتمرات.. باعتبارهم النخبة المصطفاة!! فاذاسألت احدهم عن رصيده الادبي، زمقك بطرف عينه وضحك ساخراً من جهلك، وامتنع عن الجواب! ومع ذلك فهم الذين يمثلون وجهنـا الادبي في المؤتمرات. وغرامهم في السفر الى المؤتمرات عجيب، فلا يسمعون بمؤتمر الا وشدوا الرحال اليه. حتى اصبح من الضروري ان يطلق عليهم – كما قال كاتب في احدى المجلات – «شركة سفريات الادب». او: «شركة المنتفعين»!!

وقـد فتشنا عن المقياس الذي تتبع في اختيار هؤلاء الاشخاص، فلم نعثر على شيء!! القضية.. قضية مزاج: ووساطات.. ومقال في جريـدة، وكفى الله المؤمنين شر القتال!!

هذا فيما يتعلق بالادباء العاديين او الصغار. اما الزعماء الكبار، او الرؤوس.. فأنت سعيد، وسعيد جداً، اذا سمحت لك الظروف وقابلت واحداً من هؤلاء، لانه باشارة من شاربيه، وبقدح على مائدة خمر.. يقيم الدنيا الادبية دون ان تقعد. كيف لا؟! وهو الذي يصنف الناس، فيرفع من يشاء ويخفض من يريد على هواه: فلان.. اديب رجعي.. فلان.. شاعر موهوب.. فلان.. له لقطات – فلان – ليس اديباً على الاطلاق.

وقد اسعفنا الحظ مرة، فجلسنا مع واحد من الزعماء. وخالجنا الفضول (وهو طبيعة في شخصنا) فسألناه وجلين: لماذا فلان موهوب؟ وماهي لقطات فلان؟ و.. و..

وارهفنا آذاننا (طبعاً لنا اثنتان) لسماع حكمته البليغة باعتبارها (نقصد الجلسة) فرصة العمر. فراعنا منه، انه نظر الى صديقنا الذي دعانا بغضب، ثم الى شخصنا باحتقار. وهز رأسه مرات، ثم جرع جرعة كبيرة مـن الخمر وقال: هه.. هه.. هه.!

وطبعاً كانت: «هه..» هذه، هي الجواب!

وشعرنا بالخجل، واعتبرناه عقاباً لنا على فضولنا المذكور ولكن عندما بحثنا في تاريخه الادبي عن مبرر لزعامته تبين لنا انه نشر كتاباً منذ سنين طويلة، ولايزال يعيش على هذه

الامجاد ! لقد اشيع بانه (كما قالت الصحف) سينشر كتاباً جديداً ، وانتظرنا . وسنظل في الانتظار !

وبمناسبة الحديث ، ترامى الينا مؤخراً ان احد الادباء المعروفين ، دعي الى مؤتمر الادباء العرب في الكويت ، ولكن الزعيم المذكور ازبد .. وارعد ، واقسم ايماناً مغلظة ليحجرن الادب لو ذهب الاديب المشار اليه ! وكم وددنا من المسؤولين لو انهم تركوا الزعيم على يمينه ، لنرى اية خسارة تلحق بالادب من جراء ذلك .

وعلى ذكر مؤتمر الادباء في الكويت ، فقد قرانا في الصحف ان اديباً من الكبار . كان يكتب بحثه في قاعة المؤتمر ، وان اديباً آخر ، كان بحثه فضيحة !! وان « سيبويه » قد صرخ في قبره بفضل السادة الخطباء . وان احد الخطباء قال : المرحوم فلان .. فصرخ الجميع انه حي لم يمت !! كما ان استاذاً جامعياً قال لزميل له : ان كلامك اضعف من كلام التلامذة !

تلك هي نماذج الادباء الكبار !

أما فضيحة الفضائح ، فكانت في ختام المؤتمر . . الذي يبحث عن معنى « البطولة » في الادب العربي . حيث وقف احد الاعضاء وقال : البطل الحقيقي هو الجمهور الذي استمع الى كل هذه المناقشات ولم يهرب ..

كنا نرغب ان نحدثكم عن الجمعيات الادبية ، وما يتخللها من طرائف و « مقالب » و « خوازيق » وانـه حديث ، يمين الله ممتع وعجيب ! ! فقد اوقعنا سوء الحظ . فدخلنا في واحدة من هذه الجمعيات . فرأينا العجب العجاب !! ونعلن منـذ الان ، على رؤوس الاشهاد ، انسحابنا مما وقعنا فيه ولولا خوف الاطالة . لنقلنا اليكم طرفا مما شهدناه .

وقبل ان ننهي الحديث ، نحب ان نوجه انظار المسؤولين الى قضية هامة ، وهي ان المؤتمرات الادبية ، لابد لهـا من مؤرخ وكاتب لوقائع الجلسات . ولما كان شخصنا يستطيع القيام بهذه المهمة ، باعتبارنا كاتبـا لعروض الاحوال ، فاننا نـأمل ان ينظر المسؤولون في المستقبل الى شخصنـا بعين الاعتبار .

وبانتظار العروض المقبلة ! ! تقبلوا فائق الاحـترام والتقدير ...

« الكاتب »

عصويص بن عكرمة العضروطي

٣ ع — ع٣

درعا — محمد حيدر

الاتحاد الادبي ... ومهمته « بقية »

ويجعل من الادباء شخصية معنوية محترمة ، لها فعاليتها وقيمتها في هذا المجتمع ، وليس من المعقول ان تبقى هذه الطليعة المستنيرة في مؤخرة الركب ، وان يكون جزاؤها عن حمل اللواء والاهمال وتضييع الحقوق .

وقد رأينا في كل بلد كيف تطورت رسالة الادب ، وكيف اصبح الاديب من حياة الامة « المحرك الدائم » في ابداع القيم الخيرة ، والمثل الانسانية ، ورأينا الناس يقبلون على الادب يستلهمون منه الخير ، وانقاذ الانسانية ، يزيد من تآلف ومحبة بين الناس بعد ان ساورتهم الشكوك في « شيطان العلم » الذي غالى في خدمة الحقيقة حتى خرج عن الحقيقة ، والادباء الذين يجتمعون هنا وهناك — هم الذين بدءوا ينبهون الضمائر ، ويقرعون ناقوس الخطر للانسان الذي تمادى في عبادة الطبيعة ، وخدعته اكتشافات المخابر عن تصور المخاطر ... فأين اصواتنا في هذه المجموعة الانسانية ، واين ادباؤنا في هذا الجيل الذي يكتب تاريخ الانسانية من جديد ؟

الا شكراً لهذه الايام العصيبة التي كشفت عن قيمة الادب ، وجعلت الادباء رســل الانسانية ... فهل نحن شاعرون بهذه المهمة ، ومقدرون لرسالتنا النبيلة ؟

حقا ، ان ميلاد هذا الاتحاد عندنا حدث عظيم ... واعظم من تلك الاماني التي يستطيع ان يحققها الاتحاد في المستقبل القريب .

خليل الهنداوي

ثمن حياته

(قصة) بقلم

جورج سالم

شعر امين بشيء من الارتباك اذ دعاه الآذن لمقابلة صاحب المعمل. فليس هناك مايربطه بصاحب المعمل. ومع انه مضى زمن طويل وهو يعيش في هذا المعمل الا انه لم ير صاحبه الا لماما.

ولكنه قدر، رغم ذلك، ان القضية تتعلق بزميله كريم الذي توفي منذ اسبوع.

ارتدى معطفه وصعد السلم العالي ببطء والآذن الشيخ يتقدمه. ولم يلبث هذا ان اشار اليه ان انتظر هنا. فوقف على الباب بينما دخل الآذن الغرفة بوقار، ثم خرج منها بعد لحظات وهو يشير الى امين بالدخول.

ووجد امين نفسه في جو هادىء دافىء مضيء. كان صاحب المعمل رئيف بك جالساً الى طاولة كبيرة والى يساره محامي المعمل وقد وقف بالقرب منها مدير المعمل.

وقال امين في نفسه «خيراً ان شاء الله» ثم هز رأسه وهو مرتبك وقال:

– صباح الخير.

فاجابه رئيف بك ببشاشة:

– صباح الخير ياسيد امين تفضل استرح.

ولكنه لم يدر اين يقعد، فالأرائك نظيفة، وخشي ان يلوثها بثيابه المشبعة بالزيت والحبر ان هو قعد عليها. الا ان المدير سرعان ما اشار اليه ان يقعد على اريكة قريبة منه فمضى نحوها وهو يتعثر في مشيته.

واجال فيه المحامي لحظاً حاداً وتنحنح قليلاً ثم غمز صاحب المعمل فقال هذا:

– لقد طلبت ان اراك لانني اعلم انك كنت زميلاً وصديقاً لابننا كريم رحمه الله.

– نعم سيدي.

واذ ذاك قال المحامي بوقار:

– نريد منك ان تتصل بذويه، ابيه وزوجه، وتقنعهما بالقضية.

– ولكن ياسيدي..

– نعم نعم، نحن ندرك موقفك.

– اقصد انني لا استطيع ان..

فقال مدير المعمل:

– على كل حال اننا نريد منك ان تبلغهما ان صاحب المعمل يريد ان يراهما.

واضاف المحامي:

– لابأس مع ذلك في ان تفهمهما ان ما وقع قد وقع وانتهى وان لاسبيل الى تغيير او تبديل فيه، فأفضل الحلول ان يكونا عاقلين وينهيا المشكلة. اننا نريد ان ننهي القضية. وان رئيف بك لن يقصر في مثل هذا المجال وهو المعروف بكرمه وسخائه على الغرباء، فما بالك بعماله الذين يحبهم كل الحب.

وهز رئيف بك رأسه مؤيداً.

ادرك امين من عيني المدير ان المقابلة قد انتهت فاستدار وانصرف بهدوء.

ومضى الى بيت زميله كريم منقبض الوجه لم يركب السيارة وانما سار ببطء في الشارع الطويل ورأسه يزدحم بكلمات صاحب المعمل والمحامي الكبير.

«لقد حصل ماحصل..

وان الواقع وقع وانتهى.»

اذن فهكذا تم القضية.

وتسوى بهذه السهولة.

وعادت الى ذهنه صورة المدير الذي لم يتحرك طوال المقابلة ولم ينبس بكلمة وكأنه لم يكن المسؤول الاول عن نهاية زميله كريم.

منذ اسبوع قال له زميله صباحاً:

– انني اشعر يا امين بأنني متعب.

فطن امين ان ذلك كان من اثر السهرة التي قضياها في بيته فقال له:

– لقد اطلنا السهرة البارحة، ويظهر انك تعبت. حاول ان تنام اليوم باكراً. ولكننا سررنا على كل حال أليس كذلك؟

– نعم، لقد سررت سروراً ماعرفته يوماً.

ولكن امين لاحظ قبيل الظهر ان زميله يتصبب عرقاً، وهو لايكاد يشعر بحركة المطبعة التي يشرف عليها. فطلب اليه ان يوقف الآلة ويستريح قليلاً لأن فرصة الظهر كانت قريبة ففعل، وقام بعدها وقد استراح قليلاً فتابع عمله حتى المساء.

وفي اليوم الثاني جاء متأخراً على غير عادته . كان لوجهه لون غريب . هو مزيج من اللون الاخضر والاصفر . وسرعان ما التفت نحو زميله يقول :

ـ ياامين اشعر بتعب قاس ، كأني اصعد جبلاً عالياً ، وفوق كتفي حمل ثقيل .

آه لقد وقع ماوقع اذن ؟

كيف لم يستطع ان يجيب المحامي . انه لم يجرؤ على الكلام لعلها المرة الاولى التي يرى فيهـــا صاحب المعمل والمدير والمحامي معاً .

هل صحيح ان القضية سهلة بهذا الشكل ؟

في الساعة العاشرة مال الى كتفه وهو يكاد يسقط :

ـ لم اعد استطيع ان اتحمل .

وارسل امين معاونه يخبر المدير ان وضع امين يسوء ساعة بعد ساعة .

وحضر المدير بعد فترة متجهم الوجه .

ـ ارى ان يتوقف زميلي عن العمل ، يجب ارساله الى الطبيب

وحدجه المدير بنظرة قاسية ثم هز كتفيه :

ـ لا يمكن . اننا مرتبطون بتعهد ، ويجب ان ننتهي من طبع كل هذه الكمية من اوراق السجائر ، لكيلا يتعطل العمال بعد الظهر

وشرب كريم قدحاً من الشاي وعاد الى العمل . بينما راح امين يفكر بما قاله المدير . حين يقول هـذا لا « يمكن » فمعنى ذلك انه يجب الاذعان . فكم مرة مضى العمال الى طبيب المعمل وعادوا كما جاؤوا . ان الطبيب نفسه يحرص على رغبات المدير

اما عصر ذلك اليوم فقد اشتد المه واحس بدوار وتصبب منه العرق بغزارة . فاتجه نحو المدير يقول بلهجة اليأس :

ـ لم اعد استطيع ان اعمل

عند ذلك غضب المدير وصاح بلهجته المخيفة :

ـ اصبر الى المساء . اراك اليوم تتدلل كالأطفال !

واضاف متوعداً :

ـ اذا تركت العمل الآن فمعنى ذلك انك لن تعود اليه ابداً

وصبر كريم صبر من تدق في يديه المسامير . وفي المساء حمله زميله والآذن الى السيارة

لقد وقع ما وقع !

حين جيء بالطبيب الى منزل كريم قدر هذا ان كريم مات مسموماً

وارتفع صوت امين يقول :

« اصحيح يا رب اننا كنا نستطيع ان نبقي عليه حياً لو تداركه الطبيب في الصباح !

في ذاكرة أمين الآن صورة عميقة لتابوت زميله كأنما نقرت بالازميل . ويتناهى الى سمعه صوت المطرقة الصغيرة وهي تدق آخر المسامير في ذلك التابوت . لقد أحس آنذاك بألم عنيف ورغبة في البكاء لم يشعر بمثلها من قبل . لقد تألم ألماً كبيراً حاداً اذ مات زميله ، ولكن صوت المسامير كان شيئاً أقسى من الألم وأعنف .

عاد أمين الى المعمل ومعه زوج زميله وأبوه . كان أبو كريم شيخاً مسناً ولكنه على قسط كبير من الحيوية والصلابة أما زوج كريم فكانت امرأة صغيرة قصيرة . سار الثلاثة مطرقين اول الأمر ، ثم لم يلبث ابو كريم ان رفع صوته وكأنما كان يخاطب نفسه :

ـ هذه جريمة لا شك . واسوأ ما في الامر ان يستدعينا صاحب المعمل لنسوي القضية .

واضاف بهياج وصوته يرتفع شيئاً فشيئاً :

ـ ان هذه القضية لا تسوى الا اذا قام كريم من قبره لقد كانوا سبب موته . لو انهم ارسلوه الى المنزل ليستريح . لو انهم احضروا له الطبيب لما مات متسمماً . لكل داء دواء .

قال له امين :

ـ يالهم من مجرمين . منذ شهر ذهب احد زملائنا الى طبيب المعمل . اتدري ماذا فعل المدير ، لقد حدثه هاتفياً وطلب اليه الا يعطي زميلنا تقريراً ، تأمل .

ـ نعم يجب ان تخنق هذا الشقي .

ومال الى كنته يسألها :

ـ الست من رأيي في وجوب متابعة الدعوى حتى نثأر لابننا .

وهزت المرأة رأسها ببطء ودموع ناعمة توشك ان تنفلت من عينيها :

ستكلفنا القضية كثيراً من المال . اما اذا خسرنا الدعوى ...

ـ ولكن الحق معنا وليس هناك من يشك في ذلك .

ـ الحق ؟!! ليته يظهر للناس واضحاً كما يظهر لك .

وقال امين بصوت منخفض :

ـ يجب ان تحذرا المحامي ، فهو كثير الكلام ، شديد التأثير ، سيقول لكما ان القضية كانت قضاء وقدرا . وان هذه ليست اول حادثه تقع في المعمل .. وان ما وقع لاسبيل الى تلافيه .. انه خبيث جداً

ـ لن تجوز علي كلماته . سأصمد امامه مهما كلف الامر .

ـ عافاك الله يا عم . ان كل عامل معرض لمثل هـذا الاهمال الذي ذهب كريم ضحيته .

صعد امين السلم العالي ووراءه ابو كريم وزوجه ودخل الثلاثة غرفة المدير

وفاجأ ابو كريم الجالسين بقوله :

ـ نعم !!

فتحرك المحامي في جلسته ثم قال له :

ـ لقد استدعيناك لننهي القضية . لقد حصل ما حصل ذاك قضاء الله كما نعلم ، المهم الآن ان ننهي هذه المسألة . لقد أراد رئيف بك ان يعوضكم عن الخسارة تعويضاً عادلاً كريماً على ان تسقطا الدعوى .

فأجابه ابو كريم بجدة :

ـ وما التعويض ،

فقال صاحب المعمل :

ـ سأدفع لكما تعويض المدة التي عمل فيها كريم في معملنا وسأضيف اليها الفي ليرة ، كما اتعهد بتعليم ابنائه

ـ لن اسقط الدعوى ولو اعطيتموني المعمل كاملاً . كان يجب ان يراه الطبيب . فقد كان شفاؤه ممكناً . تلك كانت خطيئة المدير ، ولن اغفرها له ابداً

ـ لقد كان قدراً محتوماً . ولا سبيل الى تدارك مافات ولن تفيدك الدعوى كثيراً

ـ سأستمر فيها ولو انفقت كل ما معي ، ولو استدنت فوقه . يجب ان يغلق المعمل ويسجن المدير . سننبش جثة كريم وسنطلب تشريحها وسنفعل ..

واستدار نحو كنته يقول :

ـ اليس كذلك يا ابنتي ؟

فأجابته مطرقة الرأس

ـ نعم

وخرج الجميع كما دخلوا ..

* * *

وفي اليوم الثاني طلبت زوج كريم الى امين ان يصحبها الى المعمل لتقابل المحامي . فصحبها امين وهو في عجب من امرها

وسألها وهو يسير الى جانبها في الطريق :

ـ هل عدلت عن رايك ؟

فقالت بتأثر كبير :

ـ اريد ان انقذ اولادي من مصير كمصير ابيهم . اريدهم ان يتعلموا ، ولن يتاح لي ان أعلمهم ولو جهدت . كان هـذا حلم كريم .

وراحت تبكي واضافت بعد هنيهة ، كان يقول لي

ـ سنقتصد في نفقاتنا لنعلم الاولاد . لم يتح لي ان اتعلم ولو انني كنت اجيد القراءة والكتابة لازداد دخلنا كثيراً واتيح لي عمل افضل من هذا بكثير . سأدفع حياتي كلها ثمناً لتعليم الاولاد

والتفتت نحو امين

ـ اريد ان احقق له حلمه

ثم قالت بعد فترة من الصمت المرهق :

ـ ارجوك الا تحتقرني ان كنت اسقط الدعوى فليس سبيل آخر

وسألها امين بشيء من الغيظ :

ـ هل قبل عمك ذلك ؟

ـ لقد اقنعته بعد عناء طويل

وفكر امين في نفسه :

ـ اذن فلو حصل لي او لأحد من رفاقي مثل ما حصل لكريم لانتهت قضية حياتنا بمثل هذه السهولة . ثرثرة المحامي وقليل من المال ، ووعد بتعليم الاولاد ولا شيء غير هذا

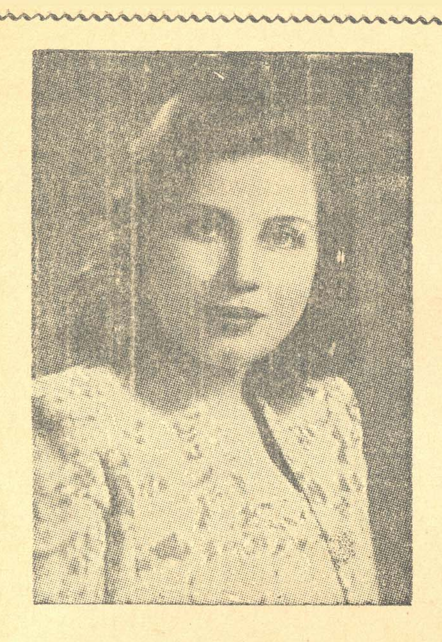
وقال للمرأة :

ـ لو كنت مكانكما لما قبلت بالمال ثمناً لحياة امين . ان صاحب المعمل يعتقد ان كل شيء يباع ويشترى حتى حياة الناس وسعادتهم ، ولقد حققتما نظرته . كان يجب ان تستمر الدعوى فلا يذهب دم كريم هدراً

قالت المرأة وهي تهـم بدخول المعمل بلهجة ساخره وحزينة معاً

ـ انك لتبالغ في تقدير ثمن الانسان !!

حلب — جورج سالم



الهوى الضائع

شعر
السيدة عزيزه هارون

في عنف أحزاني افتش عن هوى ضيعته بالامس مني
وبكيت بعد ضياعه وسألت عنه النفس
في أعماق ظني

بي جرحه في مقلتيّ بلهفتي بعبير فني
با لشك يغمرني فاهفو للطريق المطمئن

عبثاً احاول ردّه ضيعته بمجاهلي
وبكت عليه مناهلي

وأنا التي ندّيته بأناملي

متموج بخواطري عبث بأسراري
شرود

أترى اذا غنيته أيعود ؟
أم هو لا يعود ؟

أيعود ؟ والهفي عليه وقد خفرتُ له العهود
وتركته للنار تلهبه وكنت أنا الوقود

عيدنا .. وعهدنا

بقلم
سعد صائب

ليس من شك في ان من عاش تجربتنا القومية بعمق، يدرك ان عهد وحدتنا الذي احست فيه حياتنا بالدفء والامتلاء . وشعرت فيه بالاطمئنان والراحة، ثم لاحت للعالم بوجهها العربي الاصيل، فخلبت لبه، وملكت عليه وجدانه وحسه، واستلفتت نظرة بما تبدي فيها من صلابة ومتعة، ومن قوة وعزة، ومن توثب وطموح، لم تتفجر جميعها وتنطلق، الا لأن عهدنا هذا الذي نحتفل اليوم نشاوى بعيده الاول قد جاء نتيجة احساس داخلي مشترك، وبالتالي نتيجة تواصل روحي قومي بين ابناء اقليمينا، اثار مشاعر حية اضطرمت في نفوسهم، يحدوهم ايمان عميق بشخصية امتهم وادراكهم مسؤولياتهم نحو السمو بقيمها، وتحقيق اهدافها وغاياتها ومثلها القومية والفكرية والاجتماعية، المنبثقة من صميمها، تلك القيم والاهداف والغايات والمثل التي تتطلع اليها امتنا، والتي تفضي بها الى الخلاص مما تعانيه، وابلاغها المكانة المرموقة التي ترجوها، والحياة الحرة السعيدة التي تنشدها.

فكأني بهذا العهد الزاهر – عهد الوحدة بين اقليمينا العربيين – قد استودع كل ما في نفوسنا من طموح، وجسد كل ما في اذهاننا من حقائق، وعبر عن كل ما في نضالنا من معان، ورصد كل ما في صدورنا من توثب مستوفز، واستقطب كل ما في امكاناتنا من طاقات خلاقة مبدعة، وتمثل كل ما في افئدتنا من اماني غالية كانت تلوح لاعيننا فتملأ علينا اقطارنا جميعها، ولا تبرح تلح علينا – منذ فجر تاريخنا – الحاحاً متزايداً عنيفاً فترتضي هذا الالحاح ونستروحه، وننفعل به ونهفو اليه لانه فتح لنا ما استغلق من قوانا المكبوتة، واطلقنا نكشف عن هذا المستغلق، وننتشل انفسنا مما انتابها من قلق وذعر على المصير الواحد الذي يربط اقطارنا بعضها ببعض، وافصح عن اهدافنا، وراح يقوم ما اعوج من الانحرافات التي حارت في مضطربها كياناتنا المزيلة التي اصطنعها المستعمر، والهب ظهور حكامها. ومزق اجسادهم ببساطة ودفع المأجورين فيها الى الاثارة والاصطراع والتنكر للهدف الاسمى الذي تسعى الى بلوغه امتنا. وهو تحقيق وحدتنا العربية الشاملة!

ان هذا العيد الذي نحتفل به اليوم انما يحمل في ذاته حقيقة وجودنا. وكلما تفاعلنا بهذه الحقيقة دل على وعينا ونضجنا، وعبر في الوقت ذاته عن ايماننا العميق بالحرية. واكبارنا من شأن الانسان العربي لا في اقليمينا فحسب بل في كل قطر من اقطارنا. كيما يحقق انسانيته في هذه الحضارة. ويبلغ بها الغاية المثلى التي وجدت من اجلها. ونحن واثقون بان سعادتنا لا تكتمل الا بتحقيق حرية اخوتنا وان جهادنا الاكبر لن يبلغ ذروته الا اذا وصلنا ارادتنا بارادة المناضلين من ابناء امتنا، وربطنا كفاحنا بكفاحهم، لان الحرية في قوميتنا شعور ذاتي تجلوه ارادة واعية، وحيث تجتمع حرية وارادة يتولد الصراع النفسي الذي يغدو بمثابة الربان يقود السفينة ويوجهها الى المرفأ الآمن، وهي توكيد مستمر للمسؤولية التي تحقق وجود الفرد العربي وعدم انعزالة عن المرحلة التي يحياها. ولشد ما تأخذ هذه المسؤولية شكل صراع عنيف مع قوى خارجية باغية تأبى – دفاعاً عن مصالحها – الا ان تمارس طاقتها في السيطرة حيناً، وفي التآمر احياناً. ومسؤوليتنا في هذه الحال تعني مقاومة هذه القوى وعدم الخضوع لها، ومن ثم الخلاص من ربقتها، وهذا الجانب يبلور نوعاً من فكرتنا او فلسفتنا العربية عن الحرية. اما الجانب الآخر والاهم والذي بدونه لا يمكن ان يتم انتصارنا، فهو الاصلاح الجذري الذي يتناول مجتمعنا بالتطوير والتغيير، وتحريره من كل ما علق به من رواسب مادية ومعنويه. وكلما وجهنا جهودنا الى هذا الهدف بالذات جنبنا قوميتنا الخطر الذي يتهددها!.

لقد اقبل عيدنا من قرارة القدر.

قدر امتنا ..

لقد اقبل يغسل دروبنا، ويعانق الانتفاضة الماردة التي تزأر في صدورنا ..

ومادام هذا شأنه، فليكن احتفالنا به اتصالاً نفسياً روحياً، نشعر فيه وكأننا كل يسعى الى انقاذ مصيره، بذلك ينتصر عهدنا، وتنتصر بالتالي فكرتنا القومية، ويصبح انتصارها انتصاراً لنا!.

الف تحية الى عيدنا الاصغر.

والف الف تحية الى عيدنا الاكبر

عيد وحدتنا العربية الشاملة!.

سعد صائب

نفسية المرأة

بقلم :

الياس فرح

نص المحاضرة التي القاها الاستاذ الياس فرح في قاعة شركة المشاريع الكاثوليكية في حلب مساء الاربعاء الواقع ١٩ تشرين الثاني ١٩٥٨

يفتتح الفيلسوف « هنري بركسون » كتابه : « منبعا الاخلاق والدين » بالعبارة التالية : « ان ذكرى الثمرة المحرمة هي اقدم مافي ذاكرة الانسانية » . ولكن بم تذكرنا هذه الثمرة المحرمة ؟ الا تحمل معها صورة المرأة التي قطفتها ؟ واذا كانت الثمرة هذه رمزاً لما هو ابعد من مدلولها السطحي ، فما هو الرمز الذي ينطوي عليه وجود المرأة في اقدم صورة عرفها لها التاريخ ؟

هنا تبدأ المشكلة . ذلك ان صورة المرأة الاولى يمكن ان تكشف عن وجهين متناقضين : وجه يمثل الشر كله ، وآخر ينطوي على كل ممكنات الخير . ترى تآمرت المرأة مع الحية فقدمت الثمرة الى الرجل وخشيت على نفسها من نتائج الفعلة ؟ اكانت انانية مخادعة ماكرة ؟ اما انها آثرت الرجل على نفسها وقدمت له ماكانت تطمع فيه وكانت غيرية معطاء ؟

اغلب الظن ان المرأة الاولى كانت من نوع اخواتها وانها كانت تنطوي في داخلها على الحقيقتين وتجمع النقيضين وتحمل في كيانها صورة الملاك الى جانب صورة الشيطان ، لذلك كانت دوما لغزا محيرا ، وكان لها دوما انصار وخصوم ، وبسبب ذلك شغلت المرأة الادباء والشعراء والعلماء والفلاسفة ، واحتلت حتى في الامثال العامة الدارجة حيزاً كبيراً .

ولكن ماحقيقة هذا اللغز ؟ واين نجد لقلوبنا وعقولنا المتعطشة الى معرفة كنهه جوابا ؟

ان صاحب مدرسة التحليل النفسي العالم (سيغموند فرويد) يقول في محاضرته عن (بسيكولوجيا المرأة) ان علم النفس عاجز عن حل لغز الانوثة . ولكن اذا كان علم النفس عاجزا عن الوصول الى الحل ، فهل يكون الادب او تكون الفنون ام الفلسفة اقدر على حل المشكلة ؟ ولكن لم نترك انفسنا ننساق مع هذا التيار ، الا يجدر ان نعود فنتساءل من جديد ونقرر فيما اذا كانت المرأة حقيقة لغزا او مشكلة او معضلة ، ولم لا ننظر اليها من زاوية اخرى ، الا تبدو المرأة بسيطة وفي ابعد حدود البساطة في كثير من الاحيان ، الا يكون مصدر التعقيد والمشاكل هو الرجل الذي يدخل حياة المرأة ويدخل الى حياتها شيئاً من التعقيد الذي يقوم عليه كيانه هو ؟

خير لنا على ما اعتقد ان نطرح جانبا افكارنا السابقة ، وان نحاول مواجهة الموضوع كما لو كان يطرح علينا لاول مرة ، لنحاول ان نتخلى عن صفتنا كرجل وامرأة وان نقف على الحياد حتى اذا ماكانت الافكار التي تعرض لها محاضرتنا بعيدة عن مطمحنا خرجنا على الاقل بفائدة لاتخلو من القيمة ، هي فائدة التصدي للمشكلة على اساس صحيح وسليم .

سادتي :

منذ سنوات وانا اقوم بتدريس الطلاب من الجنسين ، وعلى الرغم من انني لم اقم بدراسات اختبارية موضوعية ، غير ان كثير من الملاحظات التي خرجت بها حول الفرق بين اجواء الجنسين ، كانت كافية لكي تدفعني الى مايشبه القناعة بان عالم المرأة هو من طراز خاص ، وقد كان بودي ان ندخل معا هذا العالم عن طريق الادب والفلسفة والشعر غير انني وجدتني امام بحر متلاطم من الآراء يحتاج انتظامها الى وقت وجهد لاتسمح بهما مشاغل التدريس وغير التدريس ، فالتقيت بعلم النفس لانه اقرب متناولاً وارصن احكاماً وادعى الى ان يعتمد عليه ويهتم به جمهور المثقفين في معالجة امثال هذه القضايا .

وسابدأ بعرض بعض الملاحظات التي خرجت بها من خلال اجواء التدريس ثم بالعوامل التي يتكون منها عالم المرأة واخيراً بمظاهر هذا العالم .

في مثل هذا التاريخ من العام الماضي كلفت طالباتي وطلابي بالقيام باستقصاء عن الاسرة كانت الملاحظة الرئيسية التي خرجت بها بعد المقارنة بين اجوبة الطرفين ان اجوبة الطالبات كانت اقل موضوعية من اجوبة الطلاب اي انطباقا على الواقع واقرب الى الانطباعات منها الى الاحكام ، وعلى الرغم من ان اجوبة الطالبات كانت اغنى من اجوبة الطلاب فقد كانت اجوبة هؤلاء اكثر انسجاماً ومنطقية من اجوبة زميلاتهم . كما انني من خلال المقارنة بين وظائف كل من البنين والبنات

لاحظت ان التشابه بين وظائف البنات شائع اكثر من التشابه بين وظائف البنين ، وان عنصر الخيال بارز في وظائف الطالبات كما ان المبالغة والاهتمام بالتفاصيل ارجح لديهن ، اما في اجواء الصفوف فالواضح ان البنات اكثر اهتماما بالنظافة والترتيب واشد انصرافاً الى المذاكرة من الطلاب لذلك فان الكسل اندر بينهن ، كما ان عادات التسرع بالاجابة وعدم ضبط النفس عن الاجابة على اسئلة لم توجه اليهن ، والاجابة بنفس التعابير التي حفظتها عن ظهر قلب من الاستاذ او من الكتاب شائعة اكثر بين الطالبات .

وقد لاحظت ان الفتيات يعتمدن على الامثلة الحسية اكثر من زملائهن وانهن اقل ميلا من الطلاب الى درس المنطق واكثر ميلاً الى علم النفس . وان استجابتهن للمؤثرات حتى التافهة منها (كدخول نحلة الى الصف) اقوى بكثير من استجابات البنين ، كما ان القلق وانشغال البال والحماس والاحمرار وتغير الصوت وتعابير الوجه والضحك والبكاء والحرون ، كلها كما لاحظت اكثر ظهوراً لدى الفتيات .

كما ان الحديث المتبادل بين الطالبات خلال الدرس شائع اكثر حتى ان احد الزملاء لاحظ ان البنات لايستطعن التوقف داخل الصف عن متابعة حديث كن قد بدأنه قبل الدخول اليه ، كما انهن يظهرن ارتياحاً اكثر عندما يخرج المدرس في حديثه عن حدود المادة المقررة سيما عندما يكون الحديث مسليا .

ومن طريف ماحصل معي ما لمسته من تفاوت كبير في الانطباع بين الطالبات والطلاب عندما رويت أمامهم شيئاً عن قصة (ستاتي) (عندما يتوقف الزمن) ، فقد كانت باعثاً للطلاب على الأمل والاعجاب في حين أنها كانت باعثاً على شيء من الغرابة وخيبة الامل لدى الطالبات واعتبار الامر مستحيلاً وغير ممكن .

ان هذه الملاحظات التي اقتصرت فيها على الاشارة ، اشارة عابرة الى الفوارق التي تبدو جلية في تصرفات الجنسين والتي تناولت فيها الطالبات والطلاب ولم اتجاوزهم الى الزميلات والزملاء . ان هذه الملاحظات في مجموعها لاتشكل اكثر من اثارة المشكلة . ننتقل بعدها الى تحديد العوامل التي تتدخل في تكوين عالم المرأة .

وهنا لابد ان نبدد وهماً ، وهو اننا عندما نتكلم عن المرأة انما نتكلم عنها بصورة عامة ولا نعني جميع النساء كل واحدة على انفراد ، ذلك ان الفردية في الانسان تستعصي على التعميمات ، والامر نفسه بالنسبة الى الرجل ، غير انه رغم الفوارق الفردية يبقى ثمة شيء مشترك في حياة النساء كما هو الامر بالنسبة الى الرجال .

والذي يهمنا ان نقف على هذا الشيء المشترك ، وان نتساءل هل يعود الى طبيعة فطرية اصيلة متميزة تفصل بصورة مطلقة بين الذكر والانثى ؟ ام ان الامر لايذهب الى هذه الحدود ، بل يقتصر على مجرد فوارق خلقتها الظروف الاجتماعية والتاريخ الطويل المتوارث . وبعبارة اخرى هل المرأة فيما تختص به وتتميز عن الرجل هي من صنع العادات والتقاليد التي اندرجت في طيات الايام فالف الزمن منها ثوباً كثيفاً عزلها فية عن هذا الكائن الذي نسميه الرجل . ام انها من صنع طبيعتها الخاصة الفطرية الخالصة .

ان علم التشريح رغم مساهمته في التفريق بين الجنسين يقرر وجود بعض أعضاء التذكير في الانثى على شكل اثري غير مكتمل النمو ، وكذلك الامر لدى الرجل . لذلك كان علينا ان نأخذ بعين الاعتبار وجود اختلافات غريبة في النسبة التي تختلط بها صفات الذكورة بصفات الانوثة في الشخص الواحد ، كما يجدر من الناحية النفسية ان نشير الى ان بعض النساء هي بطبيعة تكوينهن اقرب الى الرجال وكذلك العكس كما يحسن بنا ان ننتبه الى مدى تدخل المجتمع والاعتبارات الاجتماعية في فصل عالم الرجل عن عالم المرأة ، ويكفي ان نستعيد في اذهاننا ذكرى التاريخ الطويل من العزلة والاهمال والظلم التي عرفتها المرأة واستقرت في اعماق لاشعورها .

لقد تتبع (فرويد) الفروق بين الجنسين منذ الطفولة وبين كيف ان الملاحظات والمشاهدات التحليلية التي انطوى عليها تاريخ التحليل النفسي تكشف عن مراحل يمر بها الطفل وترتبط في رأيه بأدوار جنسية يجزم بصحتها وواقعيتها . كما ان بعض الباحثات من تلميذات فرويد واتباعه امثال الدكتورة (روث ماك برنشفيك) والدكتورة (هيلين دودتش) والدكتورة (دي جروت) قد ازحن الستار عن المرحلة المبكرة التي يبدأ فيها اتجاه الحياة النفسية ينعطف عند كل من

الصبي والبنت ويأخذ منحى مستقلاً ، وهي مرحلة عقدة (اوديب) غير ان فرويد وتلميذاته يتجاهلون ان الطفل منذ يولد يأخذ مكانا معيناً تحدده له صفته كصبي أو كبنت . ان ما يقابل به الطفل من ترحاب وما يقابل به مجيء الطفلة من تجهم وخيبة امل او في احسن الاحوال ما تقابل به من برود . كل ذلك يحمل معه للطفل منذ ميلاده نوع المعاملة التي سيقابل بها وحتى قبل ميلاده لابد وان الاخوة والاخوات قد سمعوا احاديث وتعليقات حول هذا الامر ولاشك ان المقارنة بين المرأة الحديثة التي دخلت الحياة الاجتماعية وبين المرأة التي ماتزال بعيدة عنه يظهر لنا مدى تأثير العوامل الاجتماعية .

واعتقادي ان المرأة لولا سعة صدرها وطيب قلبها وعطفها وحنانها ولولا هذه الثروة الروحية لرافق وعيها لذاتها وللظلم الذي كانت تعيش فيه ثورة لا يستطيع الرجال ان يقدروا شرها وخطورتها .

ومهما يكن من امر فان اثر العوامل الاجتماعية بالاضافة الى التربية والى العوامل العضوية التشريحية كلها تتدخل في تكوين عالم المرأة النفسي ، وتجعل منها كائناً متميزاً عن الرجل لذلك يجب ان نأخذ بعين الاعتبار ان تبدل الشروط الاجتماعية والتربوية لابد ان يرافقه تبدل في مدى التباعد والتقارب بين عالم المرأة وعالم الرجل . ولكن هل نطمع في ان نصل الى وقت لاتبقى فيه ثمة فروق اساسية ولا يبقى في محيط الانسان مجالان او عالمان احدهما للمرأة والآخر للرجل . ان الجواب على هذا السؤال جاهز في المجتمعات التي سبقتنا والتي لم يبق فيها فوارق جدية بين ظروف كل من المرأة والرجل . ان عالم المرأة مازال يتمتع بوجوده في هذه المجتمعات . فاذا كان الامر كذلك فلابد ان نتساءل عن هذا العالم وعن حقيقته ، يقول هنري بركسون : الانسان وحدة ضمن كثرة . اي ان شخصية الانسان رغم وحدتها وهويتها تتكون من عناصر متعددة ومتشابكة ومن وحدات متداخلة اي انها ليست وحدة بسيطة كما هو الامر في الوحدات المادية والحيوية البسيطة التكوين . لذلك كان علينا اذا اردنا ان ندخل عالم المرأة ان نتناول مختلف جوانب هذا العالم لا ان نكتفي بالوصف العام الاجمالي .

فلنبدأ بالكلام عن عواطف المرأة :

نحن نتفق جميعاً على ما نعتقد في ان المرأة تجد في العواطف جوها الطبيعي الذي تسكن اليه وترتاح فلا تغادره الا وعلى مضض ، فنحن نلاحظ من تجربتنا وملاحظاتنا اليومية كيف تندفع المرأة بكل ذاتها مع شيء او ضده ، وكيف تقحم نفسها في كثير من الاحيان في خلافات الاخرين وتقتصر لطرف دون آخر ولو لم تظهر ذلك . والحقيقة هي ان الفتور العاطفي لايرضي المرأة فهي ازاء الاشياء والاشخاص اما حارة او باردة . ومرد ذلك يعود بلا شك الى انفعالية المرأة فقد دل احصاء العالم (بيترس) على ان نسبة الاضطرابات النفسية ذات المنشأ الانفعالي الى جميع الاضطرابات ثلاثة ارباع لدى النساء في حين انها تؤلف الربع فقط عند الرجال .

كما ان احصاء العالم (كربلن) في بحثه عن البارانويا ، وهو مرض يشتمل على اضطرابات تظهر على شكل حالات شديدة مصحوبة بعقائد وهمية لها صفة الثبات والانتظام حول فكرة واحدة تسيطر على سلوك المريض ، مثال عليها حالة الشخص الذي يقضي وقته في التفكير في توزيع المناصب والألقاب وعمل برامج للاصلاح او الذي يتصور انه مضطهد او يتخيل انه زعيم او نبي او الذي يتخيل نفسه انه محور انتباه الجميع . كما ان الاختبارات دلت على ان تأثير العواطف يطول في النساء من ناحية المدة اكثر من الرجال ، وانهن اكثر فرحاً ومرحاً واشد كآبة وحزنا ، واكثر تقلبا بين هاتين الحالتين واقل هدوءاً واستقرار مزاج ، وان القلق وانشغال البال شائع بينهن اكثر من الرجال . كما ان الاختبارات تدل على ان النساء يتأثرن بالهزء والسخرية ومن المناكدات ولو كانت لطيفة وموجهة من اصدقاء ، وسبب ذلك يعود في راي (ماريون) الى ان السخر فعل هجومي بارد تنفر منه طبيعة المرأة الحارة ، كما ان مدام (دريموزا) في كتابها « بحث في تربية النساء » تلاحظ ان شدة عواطف المرأة هي التي تسبب عنف رغباتها لذلك فان رغباتها وآمالها تبدو غالبا عنيفة ومتعجلة ملحة ، وهي كما تقول مدام ريموزا تتحمل الخيبة اكثر مما تتحمل الانتظار الطويل . وقد لوحظ افتتان النساء بالمشاهد الدرامية في المسرح وفي الحياة ايضاً ، وفي اهتمامهن باخبار الجرائم المثيرة وفي ذهاب النساء جماعات لرؤية مشاهد عنيفة كرؤية تنفيذ الاعدام ومصارعة الثيران . وعلى الرغم من ان المرأة تخاف الآلام اكثر من الرجل الا ان الاختبارات دلت على انها تحتمل هذه الآلام حين تأتي

اكثر مما يتحملها الرجل ، ففي حالات المرض والولادة والعمليات الجراحية يظهرن من الشجاعة مالا يظهره الرجل .

وقد تبين ايضاً ان العاطفة الدينية اقوى واكثر انتشاراً بين النساء ، وانهن اكثر من الرجال اهتماماً بالأمور الغيبية والتنويم المغناطيسي والصوفية ، وان عواطف التقديس والاحترام والسمو الخلقي والامل اقوى لدى النساء . غير ان الاستقصاءات دلت على ان الشعور الوطني والحس السياسي اضعف لدى النساء منهما لدى الرجال ، وان عواطف المراة تتجه الى الاشياء المحسوسة اكثر من المعاني المجردة . فهي قلما تتحمس لشيء مجرد او لمعان عامة كالحق والحرية والمساواة ، رغم انها في الحالات الجزئية والمواقف العملية التي يداس فيها الحق او يتعدى على الحرية تستجيب بقوة . لذلك فعلى الرغم من ان احساس المرأة بالجمال يكون قويا الا انها تبقى دون الرجل في القدرة على النقد الفني ، لان عواطفها وخيالها يعطلان عليها سبيل التفكير المجرد الدقيق الموضوعي . وهذا مايبدو جليا في ميل النساء الى التعجيل في قراءة الرواية ليعرفن خاتمتها اكثر من ميلهن الى نقدها وتحليلها .

تلكم سيداتي آنساتي سادتي فكرة موجزة اعتقد انها كافية مبدئيا عن عواطف المرأة ، سيما وان الجانب العاطفي كما سنلاحظ يرافقها دوماً ويتدخل في جميع الحوادث النفسية لديها فيوشيها ويلونها دوما بلون انفعالي متميز . فلننتقل الى الكلام عن **الجانب الفكري من نفسية المرأة** .

وهو الجانب الذي يتناول ادراك المرأة وتصورها وذاكرتها وذكاءها وحدسها ومحاكمتها .

يرى (جون ستيوارت ميل) ان **ادراك المرأة** اسرع من ادراك الرجل كما ان الباحثة (لورا مارهولم) ترى ان دقة الملاحظة (مزية نسوية) . فهل تؤيد النتائج التجريبية هذه الاقوال .

ان التجربة تكشف لنا ان عتبة الاحساس لدى الرجل هي ادنى من عتبة الاحساس لدى المرأة مما دعا (لونبروزو) الى القول بان حساسية المرأة هي اجمالاً دون حساسية الرجل . ولكن الاستقصاءات تضيف الى ذلك توضيحات ذات قيمة بالغة وهي ان النساء يدركن الاشياء التي تعتبر اهتمامهن مباشرة ادراكاً احسن واسرع من الرجل ، اما الاشياء التي لا تغريهن والتي يحتجن فيها الى بذل جهد ارادي ، فانهن يدركنها ادراكاً ابطأ واسوأ من الرجل . وسبب ذلك انهن انفعاليات بصورة عامة اكثر من الرجال لذلك فان افكارهن تزدحم بالعواطف والاهتمامات التي تؤثر على ادراكهن للاشياء فيكبرن الاشياء الصغيرة ويصغرون الاشياء الكبيرة .

اما الذاكرة فقد تبين ايضا ان ذاكرة المرأة مشحونة غالبا بالوان عاطفية غنية ، فهي تحفظ الاشياء التي تشوقها وترغب فيها ، كما انه يصعب عليها ان تنسى الحوادث ذات الطابع العنيف . وقد دلت الاستقصاءات ايضاً على ان الطابع الالي يسيطر على ذاكرة الخيال فهي غالباً ماتسترجع عناصر حادثة وقعت في زمان ومكان معينين متسلسلة ومترابطة بشكل آلي لايتدخل فيه الاصطفاء ولا يتميز فيه ماهو جوهري وما هو عرضي . كما لوحظ ان ذاكرة المرأة تنطوي على ثغرات وتناقضات واخطاء غريبة اكثر من الرجل .

اما الخيال فقد كشف استقصاء (سد جويك) الذي شمل اكثر من /١٧٠٠٠/ شخصاً عن ان الخيالات الوهمية العفوية شائعة بين النساء اكثر من شيوعها بين الرجال بكثير ، كما كشف عن توزيع هذه النسبة بين الجنسيات التي شملها الاستقصاء على الشكل التالي :

الانجليز	الرجال ٧,٢	النساء ١١,٤
الروس	« ١٠,٢	النساء ٢١,٤
البرازيل	« ٢٣	« ٢٧,٧

بالاضافة الى ذلك كشفت الاستقصاءات المدرسية عن تميز انشاء الطالبات على انشاء الطلاب بغنى الخيال وخصوبته وتنوع صوره . كما ان الاختبارات دلت على ان النساء ابرع من الرجال في رواية الحكايات وان الاناث من الاطفال يتعلمن الكلام بسرعة اكثر من الذكور ، والخبرة اليومية تكشف لنا عن ان النساء يتكلمن اكثر من الرجال . ثم ان تفوق المرأة في نشاط الخيال يتجلى (في الحلم) فقد دل استقصاء الدكتور (فرانكن) على ان النساء يحلمن اكثر من الرجال بكثير وانهن ينمن اقل من الرجال ، كما انهن يخلطن اكثر من الرجل بين الحلم والواقع حتى ان ماريون يرى ان النساء اللواتي لايسرفن في مخاوفهن وامالهن ، واللواتي لايخلقن لانفسهن اوهاماً هن قلائل بل نوادر ولاشك ايضا ان انفعالية المرأة هي السبب في وحدة خيالها ، ذلك ان الانفعاليين يشعرون اكثر من غيرهم بالحاجة الى الهروب من الواقع الفقير الى عالم واسع عريض من الاحلام .

أما عن الذكاء فقد دل تحقيق (مانتجازا) ان معاجم

الاعلام التي تدون عادة اسماء العباقرة من كبار المكتشفين في الفلسفة والعلم والصناعة والفن لا تحوي من اسماء النساء الا نسبة ضئيلة تعادل ٤ ــ ٨ ٪ من المجموع . كما ان ماريون لاحظ ان بين / ٥٠٠٠٠ / براءة اختراع لا توجد سوى ست براءات حصلت عليها نساء . حتى ان مانتجزا يقول : اننا لا نستطيع ان نتذكر اختراعاً عظيماً واحداً او اكتشافاً عظيماً واحداً تم على يد امرأة) . ولكننا بينما نقول ان المرأة دون الرجل من ناحية من النواحي كالقدرة على العمل العملي فان هــذا لا يعني انه ما من امرأة قادرة عليه ، كما لا يعني ان كل رجل قادر على العمل العلمي ، وكل ما نستطيع ان نقوله هو ان نسبة عدد المتفوقات الى عدد المتفوقين نسبة ضئيلة .

قد يقال ان الظروف الاجتماعية هي المسؤولة عن كبت عبقرية المرأة ، لان هــذه الظروف تنمي خيالها وعواطفها وأوهامها اكثر مما توقظ تفكيرها . ولكن ملاحظة النساء والرجال الذين تتشابه ظروفهم تدل على ان الرجل يبقي متفوقاً من هذه الناحية فقد لاحظت (الين كي) ان الاديرة تفسح المجال امام الجميع نساء ورجالاً للانقطاع الى الثقافة العقلية ومع ذلك فان عدد اللواتي نبغن من النساء فيها عــدد قليل بالنسبة الى عدد الرجال النابغين . كما ان ثمة فروعاً كانت الظروف وما تزال تساعد النساء على الانتاج فيها اكثر من الرجال ومع ذلك نجد اكثر الانتاج واحسنه في هذه الفروع من عمل الرجال . فالتصوير والموسيقى والشعر كانت تحتل في تربية البنات في جميع الأزمنة منزلة اكبر من منزلتها في تربية البنين ، كما ان ظروف المرأة تساعدها بعد انهاء الدراسة ان تنفق فيها من الوقت اكثر من الرجل ، ومع ذلك فان كبار الشعراء رجال وعلى الرغم من ان الدين يحتل في حياة النساء مكانة اكبر وأجل ، فاننا نلاحظ انه ما من دين من الاديان الكبرى كان مؤسسه امرأه ، ومن بين الفرق الدينية الستمائة التي حصرها (هافلوك اليس) ليس هنــاك الا سبع فرق اسستها نساء

وهذا كله يعني ان الظروف الاجتماعية التي تحيط بالمرأة ليست وحدهــا المسؤولة عن ندرة العبقرية بــين النساء ، فهناك الطبيعة الخاصة بنفسية المرأة .

ولكننا نلاحظ الى جانب التفوق في مجال الابداع لدى الرجل ان نسبة التخلف لديهم بدورها اكبر منها لدى النساء . فقد دل استقصاء (ميتشل) ان البلاهة اكثر شيوعاً بين الرجال بنسبة ١٠٠ الى ٧٩ . كما ان اختبار (همانس) على الامتحانات الجامعية دل على ان الطالبات يتفوقن في المعلومات المدرسية العامة وفي المثابرة والجلد والحضور المنظم الى المدرسة والطاعة وقوة الذاكرة ، كما دل على ان الرجال يتفوقون بالتفكير الشخصي والاستقلال والاهتمام النظري الصرف بالمسائل العلمية والطريقة العقلية غير المدرسية في الدراسة ، والفكر المنطقي والتلذذ في البحث والانتاج العلمي بعد ترك الجامعة .

وقد ابدت اختبارات العالمة النفسية الالمانية الدكتورة (فبس) هذه النتائج وبينت ان النساء اميل الى الاكتساب منهن الى الابداع . **فما هو تعليل ندور العبقرية اذن بين النساء ؟**

الواقع هو ان هذه الندرة لاترجع الى فقدان الكفاءة والمقدرة بقدر ماترجع الى الميل والارادة . يذكر (فنكلر) ان امرأة موهوبة قالت عندما سئلت عن سبب استقالتها من وظيفة هامة كان يحسدها عليها كثيرون (نعم لقد كانت ترضي عقلي اما قلبي فلا) ان هذا صحيح فالمعرفة تحتل في حياه النساء مكانا ولكنه ليس كمكان الحب . فالحب حياة المرأة نفسها ، وهي على أستعداد دائم لان تضحي بنفسها في سبيله . لذلك فان تقصير النساء في الانتاج العلمي كميا وكيفيا يعود الى قوة حاجتهن العاطفية ، كما يعود الى تفضيلهن الامور الحسية العيانية على الامور النظرية ذات الطابع العقلي المجرد . اذن فالفرق لايقوم بين كفاءة المرأة وكفاءة الرجل بقدار مايقوم في الانجاه الذي تصب فيه كفاءة كل من الجنسين .

ان الذكاء المرتبط بالامور المجردة هو اقوى عند الرجل اما الذكاء المرتبط بالاشياء العملية فهو اقوى عند المرأة . وما يفتن المرأة ويضمن تأييدها ليس هو الحقيقة المجردة ، بل الحقيقة الحية المرتبطة بالظلم والاخلاق او الطابع المشوق او طابع الغرابة . ان انفعالية المرأه تجعل استجاباتها على المسائل المطروحة امامها غالبا استجابات عاطفية (حب ، كراهية ، نفور ، اشمئزاز ، ارتياح ، شغف ..) لذلك فان المرأة عندما تدخل في جدال فلما تأخذ موقف القاضي ، بل غالبا ماتأخذ موقف المحامي ، فلا يكون عليها ان تبحث عن الحقيقة بل ان تدافع عنها . ان الاستدلال المنطقي يتم عند النساء في اللاشعور لذلك فانهن يتعجلن في القطع برأي ويعجزن عن ادراك اقوى الحجج والادلة والاقتناع بها حين لاتكون عاطفتهن معها في حين انهن مستعدات للاقتناع باوهى الادلة حين تكون عاطفتهن

في اتجاهها . ان فكر المرأة حدس ناشيء عن نشاط لاشعوري في حين ان فكر الرجل استدلال منظم ، ان فكر المرأة اشبه بالغزال الطافر على الجبال اما فكر الرجل فاشبه بالسلحفاة الزاحفة على الارض . لذلك فان مايبدو مظهرا من مظاهر الضعف والنقص يشكل في الحقيقة مظهرا من مظاهر القوة وميزة تمتاز بها المرأة وهي **الحدس** اماقيمة هـــذا الحدس فتتحدد بمقدار بعد هذا الحدس او قربه من التأثيرات العاطفية فهو يزداد قيمة كلما كانت المرأة ازاء مسألة جديدة او مشكلة لاتعنيها عاطفيا ، اما عندما تكون تجاه امر تشتهيه من اعمق قلبها فان حكمها الحدسي يغدو ضعيف القيمة .

والان ايها السادة وبعد ان استعرضنا ذكاء المرأة وخيالها وذاكرتها ومحاكمتها وحدسها ، هل يجوز لنا ان نعتبر فكر المرأة دون فكر الرجل كما تدعي الامثال العامية الدارجة التي تقول (عقل عشرين امرأة يساوي عقل دجاجة خوناء) او (عشرون امرأة اعطينا عقولهن لدجاجة فاضاعت قنها) او الامرأة بنصف عقل) او هل يجوز ان نقر بصحة مايقوله المثل الشعبي الايطالي : المرأة عاقلة حــين لاتفكر غبية حين تفكر ؟

لقد اجابت الاختبارات والاستقصاءات التي سبق ذكرها على هذا السؤال ، فنحن لانستطيع ان نقيم تفاضلا بين فكر الرجل وفكر المرأة من ناحية قيمة كل منهما ، والاصح ان فكر المرأة يختلف عن فكر الرجل من حيث اتجاهه ، وان له في هذا الاختلاف مزايا كما ان له عيوبا ، وهو بصورة عامة اقل صلابة من فكر الرجل واكثر غنى ، كما ان فكر المرأة يمضي الى اعمق مما يمضي اليه فكر الرجل ويبلغ اعلى درجات النجاح في شؤون الحياة في حين ان فكر الرجل يبلغ اعلى درجات نجاحه في شؤون العلم . ان المرأة تحتفظ بالامور الجزئية الخاصة الفردية باعمق ذكائها ، لان في هذه الامور تتلاقى رغباتها وكفاءاتها . فالرجل اقدر من النساء على وضع النظم العامة والقوانين لمؤسسات البر والاحسان ، ولكن النساء اقدر من الرجال بما لايقاس على النجاح في اعمال البر والاحسان . لذلك فان المرأة في مجالها الخاص تستطيع الوصول الى نتائج لاتقل روعة عن النتائج التي يصل اليها الرجل في ميدانه الخاص ايضاً .

لذلك فاننا نستطيع ان نعترف للمرأة بالعبقرية ، وهي عبقرية لاتختلف في نوعها عن عبقرية الرجل كما انها ليست دون عبقرية الرجل كمالا ، الا انهـــا تنصب على موضوعات غير الموضوعات التي تنصب عليها عبقرية الرجل ، لان اهتمامات المرأة ونفسيتها تختلف عن اهتمامات الرجل ونفسيته . انها عالم آخر .

جاء في العهد القديم ، حيث يكون كنزك هنالك يكون قلبك ، فاذا قلبنا هذه الآية كما يقول كليمانس وقلنا : حيث يكون قلب الانسان هنالك يجمع كنوزاً) استطاعت هذه العبارة ان تكشف لنا سر ذكاء المرأة .

بقي علينا سيداتي آنساتي سادتي ان نقف على جوانب اخرى من نفسية المرأة : ميول المـــرأة وارادتها ونشاطها وروحها الاجتماعية وطبيعتها الخلقية .

الاستقصاءات تدل على ان الميـــول الحيوية كالطعام والشراب واللذات الحسية بانواعها هي اقل شأنا لدى النساء ، فالشراهة معروفة لدى الرجل اكثر منها لدى المرأة . كما ان الدراسات التجريبية دلت على ان حب الظهـــور والفندرة والاهتمام بالزينة وحب الاطراء والمديح وروح السيطرة ... كلها بارزة في حياة المرأة ، كما دلت الاستقصاءات على ان الميل الى التوفير والاقتصاد شائع لدى النساء اكثر منه لدى الرجال غير انها تدل في نفس الوقت على صفة مناقضة : وهي ان التنزه عن المنفعة ، والعفة هي اشيع بين النساء فما هو سر هذا التناقض؟ ان تعليل هيماس في كتابه « بسيكولوجيا المرأة » لهذا التناقض يقوم على اعتبار الميل الى الاقتصاد والميل الى السيطرة دخيلين على روح المرأة ، وان عدم استقلال المرأة المالي والضغط التاريخي على حريتها هو الذي جعل روح السيطرة والميل الى الاقتصاد مظهرين من مظاهر ثورتها على خضوعها الدائم وتبعيتها المالية . والانصاف يقتضينا ان نؤيد هيماس في تعليله .

يضاف الى ذلك ان الدراسات التجريبية كشفت عن ان الصفات النفسية تجذب النساء اكثر بكثير مما تجذب الرجال ، وان في جميع انواع الحب تعطي المرأة اكثر مما تأخذ ، اما الرجل فيكاد يأخذ دائماً اكثر مما يعطي . وتفسير ذلك ان حب المرأة بجميع صوره هو حب (ام) اي انه يتغذى من نبع الحنان والعطف والغيرية . وقد لاحظ ماريون ان نساء مبصرات كثيرا مايتزوجن رجالا عميا ، في حين ان عكس ذلك لايكاد يحدث ابدا .

اما عن **ارادة المرأة ونشاطها** ، فقد دلت الاستقصاءات التي قام بها ماريون فيما يتعلق بالعزم والتردد على ان النساء يترددن كثيراً ولا يجزمن امرهن بسهولة ، وانهن اكثر

مقاطعة محدثهن وإفشي للسر ، كما دلت على ان المراة تندفع الى اتخاذ قرارها اندفاعاً فجائياً . ومرد ذلك كله بلا شك يعود الى الصفة الانفعالية في المـــراة ، والى كون بواعث المراة ودوافع سلوكها تتصارع غالباً في اللاشعور فلا يصل الى سطح الشعور الا النتيجة النهائية ، لذلك فان الرجل معرض دوماً لمفاجآت كثيرة من قبل المراة حتى حين يظن انه يعرفها معرفة تامة . على ان مايقال عن تقلب المراة وضعف ارادتها لايجوز ان يؤخذ على علاته ، فقد دلت تقارير الاطباء والجراحين على ان النساء يحتملن آلام العمليات الجراحية بشجاعة وصبر يفوق الرجال ، وهذا يعني ايضاً ان للارادة مجالين يختلفان بين المراة والرجل ، فما يلاحظ على المرأة من قدرة على ضبط النفس والاحتفاظ بالهدوء امام سرير مريض او اثناء غرق او انتشار وباء لايلاحظ عليها حين تكون في قارب او في سيارة مسرعة او امام فأرة او عنكبوت ، وما يلاحظ على المراة من صبر طويل وهي تقوم بوظيفة الامومة او عندما تعنى بزوجها الكسيح او العصبي المزاج او الموسوس ، ان هـــذا الصبر لايلاحظ عليها وهي بائسة مع الزبائن او هي موظفة مع اصحاب المعاملات او هي سيدة بيت مع الخادم . ومرد ذلك يعود الى مدى اهمية البواعث التي تحرك سلوك المرأة او مدى تفاهة هذه البواعث وسخفها . وقد دلت البحوث التجريبية التي قامت بها (مس تومبسون) على ان حركات المرأة ونشاطها الوسطي فوق النشاط الوسطي للرجل ، وان الهدوء والسكون اقل شيوعـــا بين النساء منه بين الرجال ، كما دلت على ان النساء يتفوقن في همتهن على العمل اليومي وفي ميلهن لعدم التأجيل يضاف الى ذلك اننا نستطيع ان نلاحظ ان نشاط المراة غالباً مايكون مدفوعاً ببواعث عاطفية اكثر من نشاط رجل . لذلك فان النساء ينصرفن الى اعمالهن ولو كانت تافهة بحماسة اشد من حماسة الرجل (كترتيب خزانة او تفكيك خيطان متداخلة او فك بعض العقد او حل بعض الاحاجي) وبسبب ذلك ايضاً لاتعرف المـــرأة كيف تقتصد بالوقت ، تدخل احداهن دكانا لتشتري بعض الاشياء الصغيرة فلا تعرف كيف تخرج ، او تريد ان تخرج في زيارة فلا تفرغ من زينتها الا بعد ان تتجاوز الموعد المضروب ، وهي عندما تودع زائرتها تظل معها مدة طويلة بعد الوداع ، والذين يشتركون في لجان او جمعيات او حلقات مـــع النساء يدركون مدى عدم دقة مواعيد المراة .

أما عن **الروح الاجتماعية والخلقية** ، فأن الابحـــاث التجريبية دلت على أن الروح الاجتماعية وحب العلاقات الاجتماعية أقوى لدى النساء وأنهن أشد من الرجال شعوراً بالحاجة الى نفوس أخرى تتعاطف معهن وتبادلهن الأراء والمواطف ، وانهن اكثر استعداد للتلاؤم مع الظروف الجديدة . كما ان التجربة اليومية تعلمنا انه يصعب على المرأة ان تمكث مدة طويلة وحدها ، وان تحتفظ لنفسها بامر هـــام ، وان الصفة الموضوعية ضعيفة في أحاديث النساء كما انهن يجدن في الكلام متعة ولذة . وفي كتاب (الصداقات بين النساء) يرى العالم (آلجر) ان صداقات النساء اكثر حرارة وحماسة من صداقات الرجال غير انها اقل ثباتاً . يضاف الى ذلك ان التجربة اليومية تكشف لنا عن حقيقة واضحة ، وهي ان موقف الام من ابنائها وبناتها واخوانها فيه من الحب والرحمة والاستعداد للتضحية اكثر بكثير من موقف الأب . كما ان الاستقصاءات المدرسية دلت على ان البنات اميل من البنين الى ان يساعدن بعضهن خلال الدروس بالتلقين أو الاشارة أو الهمس أو غير ذلك ، كما لوحظ ان امر العناية بالمرضى كان في كل زمان ومكان موكولا الى النساء كل ذلك يعني ان النساء اكثر غيرية واقل انانية من الرجال ، وان الرقة والرحمة مرتبطة بالطبيعة النسوية ارتباطا صميما ، وأن الروح الاجتماعية والاستعدادات الخلقية اقوى عند النساء .

والان وبعد هذه الجولة الطويلة يتبين لنا ان الطابع النسوي الذي يميز المرأة يشتمل على صفات وملامح فيها من المحسنات والمزايا مايجعلها تتفوق على الرجل ، وفيها من الضعف والعيوب مايجعلها دونه . وهذا يعني ان كلمة امرأة ليست نقيضا لكلمة (رجل) بل انها كلمة مستقلة لها معناها الخاص وهي ليست مكملة للرجل فحسب بل مكملة للحياة نفسها . ان المرأة ثروة من ثروات الحياة والطبيعـــة والكون وامكانية اجتماعية وطاقة روحية اذا ماوضعت في مـــكانها الطبيعي استطاعت ان تعطي الكثير .

وبعد فان الكيان الانساني الناعم الرائع ينطوي على اعماق لم يصل اليها العلم ، وتمتد ابعاده امتدادا يتجاوز حدود المعرفة الوضعية ، وما عرضناه له في هـــذه المحاضرة لايتجاوز حدود السطح . فمن حقكم اذا ومن حقي ايضا ان نبقى على اعتقادنا بأن المراة (لغز) الا انه لغز جميل نافع خير .

الياس فرح

رهينة

قصة من بلدي

بقلم

اسماعيل عبدة

قالت له « القابلة » ، وهي تلهث :

ـ انت ترى ، رغم جهودي ، فان ثمة صعوبة في ولادة زوجك . وانا ارى ، حرصاً على حياتها وحياة ـ مولودها ، استدعاء طبيب على عجل .

لقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عبرة ، ساخرة ، ممعنة في السخرية ، في الالم الساخر ، وهو يردد .. « والا فالمصير مشئوم لامحالة » . لكنه ماعتم ان اعترته رعــدة مجنونة . فحدق في اللامحدود ، فيما كانت نفسه تضطرم :

تلقى ابو احمد النبأ ، بارتعاد ولكنه عقب على قول القابلة :

ـ ولكن بلدتنا لايوجد فيها طبيب اختصاصي ، فكيف اعمل ؟

ـ يمكنك نقلها الى مدينة اخرى .. الى حماه ، مثلاً .

ـ « الى مدينة اخرى » ؟ .. آ .. الى مدينة أخرى ؟ ولكن الا يمكنك ياسيدتي ولادتها هنا . ارجوك .. حاولي .

ـ لاجدوى ، قالت القابلة ، زوجك في خطر ، فأسرع في نقلها الى طبيب قبل استفحال الم الولادة والمخاض .

ـ ...

كان الهزيع الاول من الليل قد انداح ، وتدفق الظلام يتعثر بأضواء باهتة منثورة في ازقة البلدة ـ حين استدارت القابلة بارحة المنزل .

فكر ابو احمد في واقعه المر ، وانين زوجه العاصف يتماوج بألم في جسمه ومخيلته ، وفي فضاء الكوخ اليتيم الذي يقطنون فيه . اراد ان يطمئنها ، ان يخفف من حــدة المها ، غير ان امواج الطلق والمخاض كانت من العنف والالم ، بحيث لاجدوى من الاطمئنان والتهدئة . فألقى نظرة منطفئة على زوجه ومن ثم غادر المنزل . فلحق به ولده :

ـ ابي .. ابي .. الى اين يا ابي ؟ ان امي تكاد ان تموت . و تتركها هكذا عرضة للهلاك عد اليها ، عد .

وقف ينظر الى ابنــه المهرول ، الذي مضى في دعوته للعودة :

ـ امي ، يا ابي ، قد تموت : من يعلم ؟ لتكن في جانبها ، هلم ، عد اليها .

« قد تموت » رددتها احاسيس الرجل دون ان يدرك مدى خطر هذا الاحتمال الجارح ، وما هو في الواقع . واذاماتت . فما حيلتي في عاديات الزمن وحكم القدر ؟ ! القابلة تصر على الا مفر من نقلها الى طبيب ، والا فالمصير مشؤم لامحالة .

ـ لاعدالة في هذه الارض .

وادرك انه يكاد يجنح نحو اليأس ، واليأس كفر ، فكبح من مخاوفه :

ـ غفرانك اللهم ... مع هــذا ، فليس ثمة عدالة في هذا المجتمع المتفكك ، التائه ، المنهار .

وضج ولده :

ـ قلت لك ، ان امي في خطر . انها تحتضر . بينا انت تفكر .. اوقت تفكير الآن ؟

ورمق الرجل ابنه :

ـ لا يا ولدي .. ليس في وقتنا مجال للتفكير . ان امك تنازع ، انا علم هذا ، ولكنها في حاجة الى طبيب . الم تسمع حكم القابلة ؟ اذاً ، فلابد من نقل والدتك الى طبيب مختص والا .. وسكت .

ـ والا ماذا ؟ فلنأت بسيارة نقلها الى عيادة أي طبيب .

ـ احمد .. أمجنون أنت يااحمد ؟

ـ لا .. لست بمجنون ، وربك . انا أدرك كل شيء . ان جارنا « معروف » سائق ولديه سيارة ـ فلنخبره بواقعنا لعله يمد الينا يد العون .

وتململ الأب ، وارتسمت ، من جديد ، على وجهه كله ابتسامة بلهاء ، تتماوج بالحزن القاتم :

ـ نخبر « معروف » بواقعنا ؟ وهل ثمة من يجهل واقعنا من الجيران ؟ مع ذلك لنحاول .

لم يكن منزل السائق « معروف » محاطا بجدر شاهقة وباب موصد ، وليس له سوى فوهة كبيرة في جدار ـ متداع ، كمدخل للسيارة وللانسان . وأفاق معروف على صوت يناديه ، فخرج من غرفته :

ـ ابو احمد ! . اهلا وسهلا ، اهلا وسهلا . تفضل ، تفضل .

وظل ابو احمد واقفا بدون حراك او اجابة . فاستلفت

موقفه « معروف » :

ـ مابك ابا احمد ؟.. ثم دنا منه واخذ يحملق في وجهه قل مالك ؟ ..

وتكلم الرجل ؟

ـ ام احمد يامعروف . جارتك ام احمد .. انها في خطر من جراء الولادة . ولاينقذها من « المصير .. المشئوم » سوى نقلها الى حماة .

واستجاب السائق . وخفت لهفة الرجل . وخلال دقائق كانت السيارة تقل المريضة الى مشفى .. في حماه . واستدعي الطبيب من منزله في حلكة الليل وشرع يتفحص المرأة .

كان انينها متواصلا ، عميقا ، وألم المخض يعتور كل احساسها ومشاعرها ، فينعكس ارتعاشات قاسية تهز جسمها هزا عنيفا ، يمتزج بصراخها ونحيبها ، فيما كان زوجها كالابله المشتت الحس والفكر ، لايدري ماامامه . مع ذلك ، كان يفكر في البعيد .. في المصير .. في الطبيب ، وقلما استقر تفكيره بوضوح ، ولوقت ، على فكرة محدودة ، بل كانت المرئيات والمحسوسات امامه ، اطيافا تعبر دائرة تفكيره كصور متحركة ممعنة في الحركة ، وكانت الابتسامة الباهتة القلقة ، تشيع في وجه الشاحب وعينيه المكدودتين . وانتهى الطبيب من ـ التشخيص ، وهمس في اذن الرجل :

ـ المرأة في حاجة لعملية ، لاستخلاص حياتها وحياة الجنين .

ولم يجب الرجل بشيء ، سوى بإيماءة من رأسه . ومضى الطبيب :

ـ اطمئن ستكون النتيجة خيرا . سدد الآن مائة ليرة سورية كدفعة اولى من نفقات العلاج .

وايضا لم يجب الرجل بشيء . وكل ماحدث هو ان الابتسامة البلهاء عرضت وامتدت وعمقت ، واجتاحت كل جارحة في وجههم . ولو كان له قلب مطاوع ونفس مطمئنة لقهقهة . وأكد الطبيب طلبه من جديد ، وظل الرجل في صمته وسكونه لايريم . وتنبه السائق للواقع ، وكان مايزال واقفا في احدى زوايا العيادة :

ـ دكتور .. سيدفع لك ابو احمد كل النفقات . اما الآن فلا يملك نقودا ، والمرأة في خطر كما تقول .

وارتضى الطبيب ، واجريت العملية وولدت المرأة طفلا بعيد ساعة من بدء العلاج ، وتدحرج ، وتدحرج المولود ـ على السرير يملأ جو المشفى بصراخه وزعيقه ، ويرشق الوجود بنظرات غامضات قلما يدركها انسان . وتضاءل انين المرأة وحنت على مولودها ولاذت به ، فكأنها تشكو اليه ساعات القلق والرعب والخوف . ونامت ليلتها ، هادئة تحلم احلاما خريفية باردة .

كان الربع الاخير من الليلة قد انقضى ، والفجر مايبرح يمد اصابعه الفضية المنعشة ، حين وصل ابو احمد الى منزله . استقبله اولاده بعشرات الاسئلة مستفسرين عن امهم ، غير انهم لم يلبثوا ان قفلوا الى النوم بعد ان اطمأنوا الى أن اخاً جديداً لهم قد ولد . اما احمد ، فلم ينم . فهو شاب يافع ذو شعور متوقد وقلب مضطرم ، يتحسس بقوة ، آلام أبيه واحساس ابيه بالحدث الجديد . ولكنه ماذايعمل ، والاحساس بالشيء ليس بكاف لتهدئة هذا الاحساس او تكييف هذا الشيء ارادة لاحساس معين ؟ .

سأل اباه :

ـ انت متعب ، اليس كذلك ؟ فلتأوالى فراشك ، لعلك تصيب شيئا من الراحة ، ودع الغد ، فللغد ـ احكامه وظروفه ومعطياته .

ـ وقال الاب ، وهو يعيد علبة سجائره الى جيبه بعد ان وجدها فارغة :

ـ ما الامس الا اليوم ، وما اليوم الا الغد .. حقب كلها انعكاسات لهذا الوجود الاربد المعتم . فلا تفرح بالغد لانك لم تفرح اليوم ، وساءك الامس . وقد يجيء لنا الغد بما هو اقسى واهول من الامس ، فنحمد امسنا حين يحتوينا غدنا ، ونتمنى لو انه تطاول وتطاول . احمد ! . ليس الزمن بمسئول عن تعاستنا ، فالمسئول ، انما هو المجتمع .. النهج الارعن الذي ينهجه ابناء المجتمع جميعا .

واذا كان احمد اكثر تفاؤلا ، واعمق نظرة في الواقع من ابيه ، فقد قال :

انت دائما يا ابي ، تنظر الى الوجود من خلل احكام ضبابية مكثفة صعب ان يستبين معها شروق .

ـ ولكن الشروق مغلف ، كما ترى ، بهذا الغلاف الصلب من الواقع المر .. الواقع الذي لامندحة من الفرار منه ، ولا من مجابهته . اتريد ان نعيش في الاحلام كما يعيش

السلبيون والحذر من الناس ؟ لقد ماتت ـ مواسمنا، وهدرت عزائمنا واتعابنا، والسنابل الشقراء التي حلمنا يوما ان تجتنها مناجلنا الحادة لم يقدر لها ان تولد .. ولكن قدر للشقي ان يولد رغماً عنا . فماذا بعد ذلك ؟..

وبرم احمد، ولم يتحمل ذهنه اليافع الشاب وقع هذه القيم النابعة من جذور واقعية عميقة، فاجأ الى ـ الاستطراد ..

ـ ولكن هل ستعود امي غدا ؟

غداً ؟!..

وتحشرجت الكلمات في حلق الرجل، ولاول مرة احس بغصة محزنة عاصفة، فغرورقت عيناه بشيء من الدمع مالبث ان جال وترقرق وانساب على وجهه الشاحب يخضب الشعيرات الشهب بلونه اللامنظور . واحس احمد بما يعتلج في صدر ابيه من اعتمال نفسي محموم، واهتياج عاطفي مشبوب، فكاد ان ينهار ويستسلم، ولكنه تجلد وتماسك :

ـ قلت لك، انك متعب . وانك تحمل اعصابك ونفسك فوق الارهاق . فبالله عليك، الا ما اويت الى فراشك .

ـ سمعا وطاعة . ولكن بودى ان اصرح اليك بشكي قبل ان آوى الى الفراش : لقد ازمعت يأساً من عودة أمك غدا او بعد غد .. لقد تركتها رهينة المشفى !.

وبرغم شدة وقع هذا القول على نفس الشاب فقد اجاب :

ـ مع كل ذلك، ارجو لك نوماً هانئاً .

ـ سأل الطبيب المرأة عصر اليوم التالي :

ـ الم يحضر زوجك بعد ؟

ـ لما يحضر ياسيدي . غير ان السائق « معروف » يؤكد لي انه سيعود اليوم اوغدا .

ومضى اليوم والايام الاربعة التي تليه، ولم يعد الزوج، فعربد الطبيب وصرح في وجه المرأة :

ـ اسمعي : اعلمي زوجك انك ستبقين هنا رهينة المشفى حتى يعود ويسدد نفقات العلاج المتزايدة .

ولعل المرأة النفساء، اعلم بحقيقة الامر، فلم ترد على الطبيب . ولكنها بكت ونشجت . لقـــد عظم في عينيها واحساسها ان تهمل وتلقى في المشافي كلقيطة . صحيح انها تحدب على زوجهـــا وتشاطره حرمانه وشقاءه، غير ان وضعها في هذه الصورة المحزنة لمأساة عميقة الجذور في النفس والحس معا، غلفت عينيها بغلاف كالح عاتم مايبرح يحرك آلامها . واذا حانت منها التفاتة الى مولودها وقد لان بحضنها بهدوء وسعادة فاسلمته ثديها بعطف حان، لمحت في عينيه .. اباه .. اباه بكل ماتذخر به نفسه من حنو وحرمان وآمال وتصورت مستقبل الطفل من خلال واقع ابيه، فاربدت وكمدت وتمنت ان رحلت من هذا الوجود اللارحيم. فانكمشت على نفسها وتكورت في سريرها ترتقب بلا معنى ولااستقرار، مايأتي به الغيب .

قال الطبيب، وهو يتأمل السائق « معروف » :

ـ ليتك يامعروف افهمتني منذ البدء هذه الحقيقة، لكنت على الاقل، تركت المرأة تعود لزوجها بعد ان شفيت تماماً .

وسر السائق الطيب لاقتناع الطبيب بما قال، فمضى يوضح :

ـ بلى ياسيدي .. لقد تضافرت فوق الطبيعة كلها ضدنا . فالسماء حجبت عنا أمطارها، والارض نضبت ينابيعها، وانقلبت قوانين الكون في بلدتنا، وتحولت الفصول كلها الى .. صيف . فجف الزرع وشح الضرع، ومات الحب، وعم الشقاء، وما ابو احمد الا واحد من الآلاف الذين نكبتهم الطبيعة فضاعت اتعابهم واندثرت احلامهم، وغارت اماتيهم في ارض ماحلة كنود .

وقبل الغروب كانت ام احمد تترجل من سيارة « معروف » امام باب منزلها، فهرع بنوها وزوجها لاستقبالها واستقبال مولودها، وقد فوجئوا، على غير ماامل، بوصولها . بينا كان السائق الطيب يهمس ضاحكا في اذن ابي احمد :

ـ لقد تنازل الطبيب عن اتعابه واجرته، اما اجرتي انا ؟

ولم يستطع ابو احمد ان يكتم فرحه ودهشته وهو يقبل ولده الجديد ويسمع لهمس السائق . فألقى طفلة في حضن « معروف »، قائلا له : هو ذا اجرتك .. وابتسم السائق واعاد المولود الى ابيه ثم انصرف .

السلمية

اسماعيل عدرة

جوع وشمم

شعر الاستاذ :

نديم محمد

لاعرس اغنى .. ولا مسك وفاغيه
ولا شموع ولا خمر ولا نغم ..
ولا رياحين فرش الدروب .. ننظمها
ولا زغاريد ملت رجعها القمم
ولا اهازيج ري السمع ... نسكبها
ولا حشود كدفق السيل تزدحم
ولا مضفر غار في مواكبها ..
ترنح البان من داكره والعلم

* * *

ياماسح الجرح .. لا والجرح مابردت
كرمى لعينك نار فيه تضطرم
اعيذ خطوك من لين الحرير فكم
زلت بمستبق من فوقه قدم
ماللبزاة لدات الريح تسلبها
حمر القنائص في ايامك الرحم
لاتلق سيفك بعد النصر زاوية
يبعث بها جرذ في البيت مقتحم
واطرح عصاك الى نار مسعرة
الا اذا امننت في ظلها الغنم
هدمت للقوم بنياناً ومن عجب
ان راح يرفع ماهدمته الردم
تعود للاصل اغصان .. مقطعة
يوماً .. ويطلع من اوراقها العنم
والمؤمنون قلوب لايغيرها
عن العبادة لابطش ولا حلم
ان الامومة عفران وعاطفة
على البنين . وان عقراوان لؤموا

●

دمشق في يدك الدنيا فلا نزلت
في غيرها ديم اذا جريت تعم
فافرش لها الدرب .. ريحاناً وغالية
واصبر لها .. فبنات الملك تحترم
واحبس « نوالك » عن جاراتها فكفى
بالجوع مرتزقاً .. لاحبذا الكرم
عجبت من راكب للمجد شهوته
وحادياه اليه .. الخوف والندم
مالي ارى زمراً لاقدام جائلة
على بساطك تستعدي وتختصم
الصابرون على البلوء تجمعهم
على الكراع والمستأسد السنم
قريتهم شمماً والجوع يقتلهم
هيهات يسمن من جوع ولو شمم

نديم محمد

السبب في تدهور الفنون في الاقليم السوري

والوسيلة للنهوض بها

بقلم :

الدكتور سلمان قطاية

كان الاقليم السوري دوماً في عراك مع المستعمر الغاشم ، دون ان يستطيع الاهتمام بمشاكل الفنون التشكيلية . وزاد في الامر ان من تولى الحكم واستلم المسؤوليات لم يكن يدرك اهمية تلك الفنون في حياة الامة .

كانت هناك محاولات فردية وسير متقطع في سبيل بناء صرح شامخ للفنون . دون ان تصل ، بالطبع ، الى نتائج حاسمة .

لكن الامر تغير اليوم وبزغ عهد جديد امتاز بالنشاط والعمل والتوجيه .

وهكذا ولاول مرة في تاريخ سورية تألفت وزارة خاصة تعنى وترعى شؤون الثقافة كلها وخاصة : الفنون .

فظهرت بالطبع الحاجة الملحة للسير على مخطط عام يشمل توجيه الفنون كلها واقتراحات خاصة بكل فرع منها .

انما وقبل ان احاول ذكر المخطط الذي ارتأيه اعتقد انه من الضروري البحث والاستقصاء عن اسباب الجمود الذي اصاب الفنون ، كي نخلص بالنتيجة الى الوسائل الفعالة الناجعة في النهوض بالفنون الى المستوى اللائق بالجمهورية العربية المتحدة وبنهضتنا القومية .

لقد عرفت بلادنا حضارات عديدة بلغت شأواً عاليا في دنيا الفنون . ولا تزال آثارها الخالدات تزين اكبر المتاحف وتعتز باقتنائها كل الدول . ففي بلادنا نشأت الحضارات الاولى ومنها انتشر نور المعرفة .

الا ان عوامل عديدة جاءت لتضع حداً فاصلاً مابين ذلك التقدم الحضاري ومابين واقعنا المتدهور خاصة بعد ان وصلت البلاد الى خلق حضارة راقية ذات خصائص قومية بارزة كان لها اثرها البعيد في حياتنا وحياة الدول الاخرى الا وهي الحضارة العربية .

عوامل التأخر والانحطاط كثيرة باستطاعتنا ان نلخص اهمها فنقول :

١ — **ان العامل الزمني** : كان له تأثيره الكبير . فمنذ القرن السابع بعد الميلاد اختفى فن المسرح مثـــلاً بينما تطور فن الزخرفة والمعمار تطوراً عظيما . وتابع فن التصوير والنحت سيره بصورة جديدة مغايرة لما سبق ، لكن تطوره كان بطيئاً متقطعاً حتى جاءت عصور الانحطاط والاستعمار فتدهورت تلك الفنون واندثر بعضها والبعض الآخر لايزال انما في طور الاختفاء . وجاء الاستعمار التركي فزادت البلية وعم الشقاء فاقتصر الفن على ناحية معينة وطبقة خاصة من الناس . حتى ان الفن اصبح عبارة : عن سهرة يتخللها الطـأس والكأس والرقص الخليع والدعارة والمجون . واصبح الفنانون حثالة القوم . واقترن اسم الفن بالاثم والجريمة الاخلاقية بل اصبح يشكل معها جزءاً لايتجزأ . وارتد عن الفن كل من يحترم نفسه . واصبحت كلمة « الفن » مرادفه لكلمة « خلاعة » او « مجون » .

وبقي هذا المفهوم المخزي لدى العامة حتى يومنا هذا ، وازداد رسوخاً في اذهنة الخاصة بسبب الصحافة التي اعتادت دوماً ان ترسم للفن في اذهان الناس صورة خليعة فتطلق لقب فنان على المومس وتنشـــر اخبار طلاق الفنانات (كذا) ومشاجراتهن الى جانب الصور البشعة عارية !

واصبح الناس اذا ماسمعوا كلمة فنان ارتسمت على شفاههم ابتسامة الهزء والسخرية والاستخفاف .

وترك الفن الى جماعة من الناس لاعلاقة لهم بالفن الصحيح ، وهجره كل مثقف نشيط اوانه انزوى لنفسه يزاول فنه على انفراد .

٢ — ولا بد ان نذكر **تأثير العامل الاقتصادي الاجتماعي** : فلقد اصابت بلادنا محن كثيرة ومتكررة . وتحملت من الظلم والاستبداد الشيء الكثير . فقد هاجمتها القبائـــل المغولية والتركمانية . وكان اولئك الهمج في كل مرة يقتلون النخبة الواعية التي تحمل بين جنبيها اسرار الفن واسبابه ... وهكذا فقد زالت معالم الفن ولم يبق لنا اليوم من تراثنا الضخم الا القليل مما يتوارثه المرء عن ابيه .

وزاد الاستعمار الحال سوءاً فعم الفقر والجهل والمرض واصبح على الانسان ان يعمل كثيراً ليحصل على القليل ليسد رمقه وبالطبع فقد تأثر الفن من ذلك الحال وساعد ذلك الوضع

على تدهوره وانحطاطه .

وكان من نتائج ذلك ، ولا يزال هذا الوضع مستمراً حتي يومنا هذا ، ان انعدم السوق الغني وأصبح العمل الوحيد الذي يقدمه المجتمع الى الفنان هو ، التدريس ، فالصحافة قلما تعتمد على الفنان ، والمسرح معدوم الوجود مع انه وسيلة كبرى لتشغيل عدد وافر من الفنانين والادباء والعمال الاخصائيين .

وليس في الاقليم الشمالي كلية للفنون الجميلة لتكون بمثابة مركز لاستقطاب الفنانين وجمع شملهم وخلق حركة فنية في البلاد .

٣ – وللعامل التربوي الاهمية الكبرى لما آلت اليه الفنون وأقصد بذلك التربية على مراحلها الثلاث : المنزلية والمدرسية والاجتماعية .

اذ ينشأ الطفل في منزل يخلو من كل اثر فني بل حلت فيه فوضى لا مثيل لها الا في مهرجانات الكرنفال من حيث الملابس والاثاث .

ويأتي الوالدان فينظران الى الاعمال الفنية شذراً ويفهمان الطفل انها أشياء ثانوية لانفع لها أو انهما يعتبرانها اشياء تخالف العرف والدين !!

وفي المدرسة يجد الطفل نفس الوضع تقريباً فدروس الرياضيات مثلاً تحتل الصدر الأعظم من الاهتمام بينما لا تلاقي دروس الفن الا الاهمال فلا فحص جدي ولا تقديم علمي لها ، فالبرنامج هزيل فقير وطريقة التدريس بدائية محضة والوسائل قليلة .

واذا مادخل الشاب الجامعة (جامعة دمشق) وجد نفس الوضع من حيث عدم العناية وقلة الاهتمام .

وفي الحياة الاجتماعية العادية العامة يلقى المرء في الصحافة والاذاعة وضعاً غريباً : فليس في البلاد كلها مجلة فنية بالمعنى العلمي الصحيح . وقل ماتهتم الصحف والمجلات بالفن بصورة جدية عملية مجدية .

فهي تخصص آخر الصفحات واقلها عدداً وتكاليفاً للأخبار والابحاث الفنية . والبعض يتكلم عن الراقصات والغانيات تحت عنوان الفن ، فيقص قصصاً مغرية تثير أحط الغرائز تساعدها بذلك صور لنساء شبه عاريات في أوضاع مخزية . . . كل ذلك على حساب الفن ! والغرض من ذلك طبعاً بيع اكبر عدد من الصحيفة اي هدف تجاري قذر .

الا أن هنالك ، والحمد لله ، بعض المجلات والصحف التي تولي الفن الراقي عناية واهتماماً لكنها هي أيضاً تقع في اخطاء عديدة متكررة . فبعضها يقدم الفن بشكل جدي عميق بحيث يصعب على القارىء فهمه او انها تخصص المناقشة بين النخبة المثقفة فتبقى الفائدة محصورة معلقة . والبعض الآخر يترك الميدان لاقلام كتاب لاعلاقة عميقة لهم بالفن الصحيح بل انهم يعالجون الموضوع بنظرة فلسفية أو ادبية شاعرية وصفية فيكون نقدهم خال من التوجيه الفني والدراسة التكنيكية الموضوعية .

وهنالك صنف خاص من النقاد امتازوا بالكتابة النادرة التي مبعثها الغضب الشديد او الاستحسان الشديد (ولا حد فاصل بين الاثنين) فاما يكيل الثناء والمديح واما يشدد في الهجاء والقدح الى حد السباب والشتائم .

أما الاذاعة فلم تهتم بالفنون التشكيلية الا منذ مدة غير بعيدة . ولقد قامت الاذاعة في الاقليم الجنوبي بمحاولة ناجحة اذ أنشأت البرنامج الثاني الذي يهتم بالامور الثقافية فيقدم الفنون والآداب باشكال عديدة متنوعة لولا انه مقصور على القاهريين اذ لا يصل الى ابعد من حدود العاصمة .

وفي دمشق أنشأ الاستاذ عبدالهادي البكار برنامج « هياكل الفنون » فسد فراغاً كبيراً وان يك غير كاف لوحده لتقديم عرض الفنون التشكيلية كلها .

كانت السينما في الاقليم المصري قد قامت بمحاولة رائعة وهي تأسيس مجلة سينمائية شهرية أي فيلم خاص عن الفنون وحركتها يعرض الى جانب الجريدة الاخبارية العادية ، وحتى الان لم ينفذ المشروع ويباشر على نطاق واسع !

٤ – ولئن كانت كل تلك الاسباب ذات قيمة فعلية الا ان على عاتق الفنانين أنفسهم تقع مسؤولية جسيمة في تأخر الحركة الفنية ، لانهم والحق يقال يتصنعون في أغلب الاحيان بالغرور والفردية والانانية !

فجهودهم مركزة في مدح النفس وذم الاخرين والمحاولة بالاستئثار بالجوائز والاهتمام . فيسعون جاهدين لسماع المديح من أي كان . فهم مثلاً لا يتقبلون أي نقد مهما كان موضوعياً علمياً الا اذا كان مليئاً بالمديح ! ولقد عانيت انا نفسي من هذا

الامر الشيء الكثير !

وكان الاجدر بهم ان يقبلوا على العمل الايجابي المثمر فيكرسوا له الوقت والجهد.

٥ – اعن من يلقى النظر على عدد الجمعيات الفنية والادبية المسجلة رسمياً في البلاد يصاب بدهشة لعددها الكبير والاهداف العظيمة والمثل العليا التي تسعى لها. والحقيقة ان معظمها ذو وجود خيالي وانتاجها العملي محدود جداً مقتصر على حفلات معدودة من محاضرات ومعارض لايتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة كل سنة. لذا فقد اقتصر دورها اغلب الاحيان على جمع لفيف من الاصدقاء يتناقشون فيما بينهم في امورهم الخاصة فتؤدي دور الندوة الخاصة بهم دون اداء الواجب الفني المفروض عليها.

٦ – ولئن كان دور الافراد مهماً وعمل الجمعيات ضرورياً لكن العمل الاول في الحقيقة يقع على عاتق الحكومات التي لم تولي الفن مايستحقه من مساعدات وتشجيع.

فقد كان الفنانون يلقون آذاناً صماء كلما حاولوا المطالبة بحقوقهم وكان كلما سمع المسؤولون ذلك ارتسمت على وجوههم علامات الاستخفاف فيرددون بأن البلاد بحاجة الى مهندسين واخصائيين في الزراعة والصناعة وان الفن شيء ثانوي لاحاجة ماسة له الان! مع ان الفن يشكل جزءاً واحداً من الحياة فالكتاب والمسرح والاذاعة والسينما اصبحت في البلاد الراقية من ضروريات الحياة اليومية كالخبز والماء هذا عدا الدور الذي تلعبه الفنون في التربية الجماهيرية. وفي التوجيه الفكري البناء.

ودام الحال كذلك حتى تمت الوحدة العربية بين مصر وسورية فكان من اولى بشائر الاهتمام بالفنون والعلوم والاداب الجوائز السنوية التي قررت وزارة التربية والتعليم منحها كل سنة لشخص واحد في كل ميدان.

ثم أسست وزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم المصري أولاً وهاهي اليوم بدأت بمزاولة اعمالها في الاقليم السوري.

وبالطبع فسوف تواجه الوزارة صعوبات جمة يجب ان تتخطاها وان تحاول ازالة كل تلك الاسباب التي سودتها والتي ادت الى انحطاط الفن، وتعمل على اشادة صرح جديد قوي الاسس سليم البنيان.

والعمل العلمي السليم يتطلب السير حسب منهاج ومخطط موضوع بعد دراسة عميقة للحاجة وللامكانية، الشيء الذي اعتادت عليه حكومة الثورة منذ قيامها في مصر والذي تطبقه حالياً حكومة الجمهورية العربية المتحدة

ستتألف الوزارة من مديريات لكل منها اختصاصها وميدان عملها وستكون هناك مديرية او مجلس خاص بالفنون التشكيلية تقوم على رعاية هذه الفنون وتنسيقها وتوجيهها.

اعتقد شخصياً ان المخطط الناجح يجب ان يأخذ بعين الاعتبار العمل في ميادين ثلاث.

الاول: خلق ذوق فني علمي صحيح في أفراد الشعب كله..

الثاني: تهيئة جيل جديد من الفنانين ذوي الموهبة الحقة

الثالث: الاعتناء الشديد بتربية الاجيال الصاعدة تربية فنية قوية.

ومهمة مديرية الفنون ان تشرف على تطبيق هذا المخطط وان تكون في ذلك بمثابة رئيس الاوركسترا والعازفين. على ان يكون العمل متواصلاً ومنسجماً بين كل ميدان وفي اتصال دائم مع بقية المديريات الاخرى. وهكذا يبدأ الشعب بالتعرف والاضطلاع على الفنون وعلى التدرج بتفهم تعاليمها بينما تهيء له الفنانين الصحيحين لئلا نقع في الخطأ الجسيم الذي وقعت فيه الحكومات السابقة اذ عاد المرحوم فتحي محمد الى حلب بعد ان درس فن النحت طويلاً في مصر وايطاليا ولكن الشعب كان انئذٍ يعارض فكرة اقامة التماثيل ولا يفهم أهميتها فكان أن اضطر الفنان الى العزلة ثم الى الموت.

وهذا هو نفس المصير الذي ينتظر الفنان الشاب نجمي السكري عازف الكمان البارع الذي حاز على الدرجة الاولى في معهد كونسرفاتوار باريس، لانه وصل الى درجة راقية في العزف الاوروبي بينما لايزال شعبنا لايستسيغ تلك الموسيقى!

لذا فان تهيئة الاذواق وتربية الشعب والجماهير ضرورة قصوى كي يستطيع الفنان العيش لانه لم يخلق ليعيش وحيداً بل لينقل للناس الاحاسيس الجمالية التي يتعرف اليها هو بواسطة موهبته.

وفي سبيل نفس الفكرة والهدف يجب العمل في ميدان التربية المدرسية ليكون لنا بعد فترة من الزمن جيل قادر على احترام الفن وتذوق الصحيح منه ورفض الفن السطحي السخيف.

أما الطرائق الوصول الى هذه الاهداف فهي عديدة لاحصر لها لانها تعود وتتعلق مباشرة بنشاط القائمين على مديرية الفنون

وكفاءتهم لذا فانني احبذ والح على ضرورة انتقاء الاكفاء والشباب لتأمين تلك الشروط كما ان الامكانيات المادية تتدخل الى حد كبير في توجيه ذلك النشاط . اما الاكفاء الاخصائيون فيجب اللجوء الى مواطني الجمهورية وترك المجال الفسيح للعمل لكل من يرغب في ذلك والاستعانة بالخبراء من الاقليم المصري ومن البلاد الاجنبية والصديقة .

أ – الميدان الاول : خلق ذوق فني علمي صحيح بين افراد الشعب :

١ – من الضروري ان نذهب الى الجمهور نفسه ليكون بتماس مباشر تام مع الاعمال الفنية ، وان تفضل من بين هذه الاعمال تلك التي تتجه الى أكبر من عدد من الناس . ولقد قامت المكسيك بمحاولة من هذا النوع في الفنون الشيء الذي سمته الفن الكبير المفتوح للناس جميعاً . فاهتمت بالرسوم على الجدران ، انما اختارت جدران الابنية العامة التي يرتادها الناس كل يوم : كالمحطات ، ودور الحكومة ، والمدارس والجامعات ، والملاعب ، والنوادي .

ولقد قامت بذلك مصر فردهات مؤسساتها الحكومية بالرسوم الحائطية الجميلة .

ولكي تكون تلك الرسوم مستساغة ليقبل عليها الشعب يجب ان يكون اسلوبها سهلاً ومواطنها مستوحاة من حياة الناس انفسهم .

ففي مستودع المتحف الوطني بدمشق لوحات عديدة اخذت بغية التشجيع اكثر من هدف الاقتناء لقيمتها الفنية وبالامكان توزيعها في المؤسسات المذكورة واستعمالها كوسيلة لتثقيف عيون الناس وتعويدهم على اكتشاف مواطن الجمال في فن التصوير الزيتي .

وكانت العادة المتبعة حتى اليوم اقامة معارض التصوير الرسمية في دمشق وحدها تقريباً وفي مكان منها هو المتحف الوطني . وذلك بالطبع مجال محدود من الاوفق والضروري ان يتسع ليؤدي الفن رسالته للجميع .

لذا تنظم صالات عرض في اكثر الاحياء والامكنة ازدحاماً وفي احياء بحيث تتمكن كل الطبقات من الاطلاع والمعرفة .

وان لايقتصر الامر على بلدة واحدة بل يشمل كل البلدان فيفرض المعرض الواحد في عدة امكنة من البلد وفي كل محافظات الاقليم .

ولا يقتصر امر الفنون ونشرها على فن التصوير فحسب بل ان فن النحت (رغم تكاليفه) يقوم بدور لايمكن للفنون الاخرى ان تمثله . فميادينا خالية من كل اثر فني وساحاتنا فارغة تنتظر يد الفنان الماهر ليضع فيها النصب والتماثيل التي تحدثنا عن تاريخنا وامجادنا وتبعث فينا نشوة السعادة الجمالية .

٢ – والصحافه ودور النشر المكانة الاولى في خلق الذوق الفني وبثه لدى الجمهور ومن الواجب تنظيم امرها بصورة عملية جدية لتؤدي دورها الفعال .

فتكتب المقالات من قبلهم وتوزع على الصحف والمجلات (ولا بأس من حيث الصحف على تخصيص صفحة او مكان خاص للفنون ومشاكلها) على ان لايبخل عليها بالصور والكليشهات .

ويعهد الى لجنة خاصة تأليف او الافضل ترجمة الكتب الفنية الشهيرة التي تبحث في تاريخ الفن ومدارسه وفلسفته ثم تطبع طبعاً مناسباً وتعرض باثمان معقولة ليتسنى للجميع اقتناءها .

كما ان تخصيص مجلة شهرية او اسبوعية للبحث في امور الفن بصورة مستساغه معقولة دون الغلو في البحث والتدقيق او الاسعاف الى درجة الابتذال .

وهناك طريقة ناجعة لنشر الاعمال الفنية وجعلها بمتناول الجميع ألا وهي انتقاء بعض الصور لمشاهير فناني الغرب والعرب على السواء وطبعها على بطاقات بحجوم مختلفة وبالالوان على ان يراعى في انتقائها ان لاتصطدم مع الذوق العام (كصور الاجساد العارية مثلاً) او التربية الذوقية الاجتماعية (كصور لوحات الفن المجرد مثلاً) لئلا تقع في عكس المطلوب .

ولابأس من تنبيه الاماكن الخاصة : كالمقاهي والمطاعم على ان تعتني تزيين جدرانها بالصور الفنية وذلك حسب امكانياتها بل ومساعدتها على ذلك اذا اقتضى الحل .

٣ – قلت ان للاذاعة دور هام في توجيه الشعب وتثقيفه : وذكرت ان هناك برنامجاً خاصاً بالفنون التشكيلية تحت اسم « هيكل الفنون » الا ان طريقة القاء المحاضرات الجافة طريقة عقيمة خاصة في ميدان الفنون التشكيلية . يجب ان يستعمل الاذاعيون « الفن الاذاعي » ، ذلك الفن الحديث القائم بذاته لنشر اجمل الصور عن الفنون : كابتكار تمثيليات طريفة تعرض فيها حياة الفنانين او تناقش فيها بعض الافكار الفنية ، واقامة المناقشات عن الفن ومذاهبه ، ومزج فن التصوير بالموسيقى

مزجاً قوياً ليجلب انتباه الجميع ويتعلق به ان الشعب نفسه . ولا أرى ضيراً في ان يكتب القصاص الشعبي «حكمة محسن» مسرحية عن فن التصوير مثلا باسلوبه الشيق الجميل وباستشارة الاخصائيين بفن التصوير، ويقدم التمثيلية :

الشخصيات البلدية المعروفة : ام كامل، ابو رشدي ..

٤ – وتحتل السينما مكانا هاماً في تقديم الفنون التشكيلية نظراً لانها بعكس الاذاعة، تملك الوسيلة المادية لعرض اللوحات الفنية بالالوان، الشيء الذي لا تملكه الوسائل الاخرى ومثال فيلم «سربيكاسو» واضح لايحتاج الى تبيان واستحقاقه الجائزة الاولى في مهرجان كان عام ١٩٥٦ دليل كبير على قيمته

عدا عن عرض الاخبار الفنية يجب تصوير افلام تعرض قصص المدارس الفنية باختصار، ولابأس من استعارة اوشراء الافلام القصيرة الاوروبية ودبجهـا باللغة العربية واستعمالها للعرض في الدور العامة وفي الجمعيات الفنية وفي المدارس كوسيلة للتثقيف والارشاد .

ب – أما الميدان الثاني : فهو كما قلنا : تهيئة جيل جديد من الفنانين ذوي الموهبة الحقة . ان الفنانين الذين بامكاننا ويجب ان نعتمد عليهم هم الشباب ذوي الموهبة المصقولة بالدراسة العلمية العميقة . لقد ادى الفنانون المخضرمون (أي الذين نشأوا في عهد الاستعمار ولا يزالون اليوم) دوراً هاماً في حياتنا الفنية اذ بذروا الحبات الأولى الضرورية للنهضة الفنية وفضلهم في هذا كبير . ولكن المستقبل دوماً للشباب لذا كان على مديرية الفنون التشكيلية ان تبحث بدقة وعناد عن المواهب الناشئة المتفتحة لتكتشفها وتشجعها وتوجهها .

وذلك عن طرائق عدة اهمها :

١ – المسابقات والجوائز : لقد كانت المسابقات ولا تزال وسيلة ناجعة لاكتشاف المواهب الحقة في شتى الميادين العلمية والفنية ولقد عرفت هذه الوسيلة

استعمالاً واسع النطاق في كل البلدان وخلال عصور النهضة

المسابقات والجوائز في ميدان التشكيلية لاحد لها

فهناك مسابقات بين الفنانين المحترفين وهي ضرورية لكن النوع الذي نعنيه هو تلك المسابقات التي يشترك فيها الشباب الناشيء فيسمح للمواهب الفنية بالظهور وبالطبع فان تحديد السن أمر ضروري بعكس اختيار المواضيع والاساليب .

وتختار المديرية نوع المسابقات وميدانها بحسب الحاجة : كاقامة مسابقة نحت اذا لزم الامر او مسابقة زخرفة لنفس السبب

ولهذه المسابقات غرضان : الأول تشجيعي لبث الحماس والسرور والنشاط بين الفنانين . والثاني : لاكتشاف المواهب . وفي هذا الحال ولنفرض اننا اكتشفنا نحاتاً ناشئاً موهوباً انما كنا بغير حاجة لنحاتين فيجب ان نتغاضى عن حاجتنا ونعترف بالموهبة المتفتحة ونعمل على رعايتها

بالطبع فان غاية هذه المسابقات هي السماح بانتقاء الموهوبين لايفادهم في بعثة لدراسة الفنون

كانت المسابقات حتى يومنا هذا مقتصره على وزارة المعارف وذلك لسد حاجتها من مدرسي فن الرسم . لكننا اليوم بحاجة الى اخصائيين في الفنون الاخرى كالنحت والتزيين، ودراسة تاريخ الفن، وهندسة المتاحف والمعارض، ودراسة فن الحفر هذا عدا عن حاجتنا للفنون الاخرى كالتمثيل والرقص الايقاعي (الباليه)

وهنا تبدو لي ضرورة ملحة قصوى الا وهي حاجتنا الى اخصائيين في دراسة الفن الشعبي على جميع انواعه الشيء الذي نفتقر اليه تماماً

فلقد تركت الحضارات في بلادنا وحياتنا آثارا خالدات لا تمحى إنما يجب دراستها وتصنيفها وتدريسها لتكون مصدر وحي افناننا في سبيل خلق فن عربي حديث صادر عن صميم حياتنا وتقاليدنا

يجب ان تولي الوزارة العناية الفائقة لهذا النوع من الفنون فتقوم لجنة تضم اخصائيين في كل فرع من فروع الفنون، تقوم هذه اللجنة بمسح المناطق في الاقليم فتدرس وتصنف وترسم كل مظاهر الفنون الشعبية ثم يقام متحف خاص لها يضاف اليه كل حصاد تلك الدراسات فتقام المعارض وتنشر المقالات وتعرض الافلام عن تلك الدراسات .

ان ميدان الفنون الشعبية لوحده كفيل بخلق اشياء لا حصر لها ولا يمكن التنبؤ بها نظراً لغنى تلك الفنون وعمقها واصالتها

٢ – ليست المسابقات الطريقة الوحيـــدة لاكتشاف المواهب لان لها بعض العلات : لان بعض المواهب حساسة للغاية ولا يمكن لها ان تتفتح في ذلك الجو والبعض الآخر منها يعتبر الفشل كصدمة عنيفة يخاف عواقبها على نفسه فيرتدع عن الاشتراك في المسابقات لذا فان المعارض وسيلة ناجعة لاكتشاف المواهب وتمييز الحقيقي منها من المزيف

وموضوع المعارض الفنية لوحده يستحق دراسة خاصة مفصلة لكننا نستطيع ان نقول انه من الواجب تشجيعها بكل مساعدة وعناية : فالمديرية (بفرعها الخاص بالمعارض) تؤمن للفنان العارض : الاطارات (برسم الاعارة) وتطبع الاعلانات والبطاقات وتؤمن نقل اللوحات الى صالة العرض . وتشتري بعض اللوحات . وتقوم بالدعاية اللازمة والمترتبة عليها . وتدعو الفنانين الى الاشتراك بالمعارض

ولا يقتصر الامر على دعوة فناني الاقليم السوري الى العرض انما يجب ان يشترك فنانو الاقليم الجنوبي بذلك فنحن اليوم في اشد الحاجة الى التعرف على الفنانين المصريين وعلى مدى ما توصلوا اليه في الفنون التشكيلية

كذلك تظهر لنا اهمية دعوة الفنانين العرب من البلدان الاخرى كمراكش وتونس والجزائر ولبنان والعراق

وهناك مشروع رائع جداً لو استطعنا تحقيقه عن طريق الاونيسكو اذ نستعير بعض لوحات المتاحف الكبرى : كمتحف اللوفر ، والناسيونال كاليري ، ومتحف دريسدن ، وبرلين والفاتيكان .. لعرضها لدينا ليستطيع الفنانون الذين لم يتسنى لهم زيارة اوروبا ان يطلعوا عن قرب على المدارس الفنية الاجنبية وليطلع الجمهور بنفسه على تلك اللوحات الخالدات

وهناك ناحية جد هامة :

فقد كانت العادة ولا تزال تعتبر الاعمال الفنية والجهد الفني عبارة عن مجهود ثانوي القيمة في الحياة لذا فقليلاً ما كانت تعوض بالمال . ان الجهد الفني لا يقل عن اي جهد فكري او جسماني وانه ذو قيمة مالية خاصة يجب ان تقدر حق قدرها وتعوض تعويضاً شاملاً

فالجوائز : قد تكون مادية وقد تكون عبارة عن زيارة مؤمنة لبلد فني ما : روما ، باريس ، البندقية . لكنها أبداً : لا تكون معنوية لان ذلك ليس من التقدير بشيء

بقيت ملاحظة فيما يخص المسابقات وانتقائها وهي ملحقة بها لضرورتها : منذ ان اقامت وزارة المعارف في سورية عام ١٩٥٠ معرض الخريف السنوي وهي تقع في نفس الخطأ الجسيم في انتقاء اعضاء اللجنة المكلفة باختيار الجوائز الثلاث . لانها كانت تختارهم من الموظفين الرسميين الذين لا يمتون الى الفن بصلة حاسمة قاطعة . انما يتمتعون بمركز حكومي هام ولكن هذا ليس بضمانه وكفيل لذوقهم وثقافتهم الفنية وكان من نتيجة ذلك ان في متحف الفن الحديث في المتحف الوطني اعمال فنية عديدة ذات قيمة اقل من الوسط بكثير في بعض الاحيان .

ح - والميدان الثالث والاخير : هو الاعتناء الشديد بتربية الاجيال الصاعدة تربية فنية قويمة . وذلك على اختلاف مراحلها : ابتدائية ، ثانوية ، وجامعية .

لقد كان درس الرسم ، ولا يزال ، مملاً بليداً . لانه اتسم بالجمود والموت ! فالاستاذ يطلب من التلميذ ان يرسم « طبيعة صامتة » وضعها على المنضدة فهي تارة : اناء من فخار ، وتاره وعاء زجاجي . وفي كلتي الحالتين تكون النتيجة واحدة : الفشل في تحبيب ذلك الفن الى نفس التلميذ . بل ان الطالب يشعر منذ ذلك اليوم المبكر بأن الفنون شيء ثانوي في الحياة اذ ان علامات الرسم دوماً مرتفعة ولا يمكن له ان يخسر السنة من اجلها .

ان غاية تدريس الفنون ليس خلق الفنانين . فهذا امر تكفلت به الطبيعة فالمرء يولد فناناً او لا . الغاية : هي خلق الذوق الفني لدى الطفل بمعنى انها يجب ان تمكنه من تذوق الفنون الرفيعه ، وذلك بتهذيب مداركه وحواسه .

وقد قال الفيلسوف هربرت ريد « يخلق الانسان فناناً » بمعنى ان لديه الامكانية في تذوق الفنون وعلى المربي ان ينمي ذلك الذوق ويصقله ويثقفه ، وكأنما يريد ريد ان يقول : ان هناك غريزة فنية لدى الانسان غاية المربي توجيهها نحو الهدف الصالح .

وباختصار اعتقد ان هدف التربية الفنية هو : صقل الحاسة الفنية لدى الانسان وتثقيفه فنياً .

والوصول الى الغاية الاولى يجب استعمال طرق التشويق والتحبيب والابتعاد عن تنفير الطالب للفنون وذلك بالانتقاء الدقيق للبرامج حسب نفسية الطالب واستعداده .

والغاية الثانية تتطلب ايجاد كتب فنية تقص تاريخ الفن وتعرضه عرضاً شيقاً . على ان يكون منسجماً تمام الانسجام مع الدروس الاخرى وخاصة القومية منها فمثلاً : عندما يدرس الطالب تاريخ العهد العباسي ، يدرس ايضاً خصائص الفنون التشكيلية في نفس العهد العباسي من تزيين وزخرفة ورسم ومعمار وخط بينما يقوم الطالب بالاشتراك بتمثيليات صغيرة تمثل اهم حوادث ذلك العصر فترتبط في نفس الطالب ربطاً وثيقاً بين التاريخ المقروء (درس التاريخ) والممثل والحضارة بوجهها الفني .

وليس ادل على الحاجة الى هذا النوع من التدريس مانراه لدى مثقفينا من جهل فاضح في خصائص الفن العربي فالقليل من المتعلمين من يستطيع تمييز بناء ذو طراز فارسي من الطراز العربي الاموي وبين هذا والطراز الاندلسي .

وتطبق نفس الفكرة فيما يخص دراسة الحضارات الاخرى : الاوروبية والآسيوية ... الخ ...

بعد هذه المقدمة القصيرة استطيع ان الخص ما اقترحه بخصوص تدريس الفنون :

اولاً : يجب زيادة عدد الساعات المقررة لتدريس الفنون

ثانياً : يجب اضافة فنون اخرى غير الرسم والموسيقى ، كالروض الايقاعي وخاصة : المسرح المدرسي .

ثالثاً : وضع برنامج مقرر سلفاً اوسع واعم مما هو عليه لان يشتمل على دراسات نظرية وعملية .

رابعاً : تأمين كراسات الدراسة الفنية النظرية لكل صف حسب البرنامج .

خامساً : تأمين وسائل الايضاح من : صـــور ملونة مطبوعة ، وافلام قصيرة و ....

سادساً : ان يضاف الى البرنامج كجزء لايتجزأ منه زيارة المتاحف والاماكن الاثرية .

هذا عدا عن المسابقات والجوائز والمعارض ومهرجانات آخر السنة التي هي ولا شك من ضمن القواعد المتبعة والتي تحتاج الى التشجيع والاقبال .

وهنا نص الى مشروع كثر الحديث عنه منذ سنوات عديدة الا وهو : انشاء أكاديمية للفنون الجميلة في دمشق . على ان تشمل الفنون كلها : من تصوير الى نحت وتمثيل وغناء .

وكانت الفكرة ان يكون هناك فرع ثانوي تعادل شهادته شهادة البكالوريا يدخله حامل الكفاءة وفرع جامعي يدخله حامل البكالوريا وشهادته تعادل الليسانس .

وعلى كل حال فهناك ملاحظات هامة بهذا الخصوص :

اولاً : ان انشاء هذه الكلية من اكبر الضرورات بل تكاد تسبق كل مشروع فيما يخص النهوض في الفنون ويجب ان يكون تحقيقها في رأس القائمة . لانها ستكون القلب النابض بالنسبة لمديرية الفنون ، والمخبر العملي الذي تتفاعل وتتصادم وتتفاهم فيه الآراء .

ثانيا : ان تكون الدراسة به مجانية . بل ازيد فأقترح ان يدفع مرتب خاص للفصول التي يقل الطلاب فيها : كطلبات التمثيل والرقص الايقاعي ليكون ذلك كعامل تشجيعي لتخطي العقبات الاجتماعية الموروثة الموضوعة امام الفتيات

ثالثاً : ان تؤمن اعمال خاصة لخريجي الكلية . كأن تحفظ بعض الوظائف في الدولة لهم فقط كي يطمئن الطالب على مستقبله فيتشجع ويتشجع اهله وذويه فيسمحون له بالانطلاق في دراسة الفن بدل ان تحدث تلك المآسي بين الشاب وعائلته وكم من مواهب ضاعت بسبب ذلك التردد والقلق والخوف من المستقبل .

* * *

هذا هو باختصار المخطط الذي اقترحه للنهوض بالفنون في الاقليم الشمالي . واعود فاكرر انني لم اذكر الا الخطوط العريضة العامة فالتفصيل في مثل هذه الامور يحتاج الى صفحات ضخمة طوال يكفي كمثال ان اذكر موضوع الفنون الشعبية فهو لوحده يحتاج الى مجهود ضخم واستعداد كبير وعمل متواصل وهو لوحده يحتاج الى مخطط قد تنوف الافكار والاقتراحات المتعلقة به الشيء الذي ذكرته في مقالي هذا . ولعل تلك المواضيع ستكون مادة لمقالات خاصة في المستقبل .

بقيت ملاحظة هامة جـــداً تتعلق بالعمل المنسجم بين الميادين الثلاثة التي ذكرتها . ولئن قسمت وجهات العمل الى ميادين ثلاث فذلك من قبل لتحصيل التخطيط وتقوية البناء لاقامته على اساس متينة . انما الكل يشكل جزءاً واحداً من جسم المديرية . والمديريات الاخرى في الوزارة يجب ان تكون ذات صلات وثيقة مع مديرية الفنون وان تضطلع كل واحدة على مخطط الاخرى وان تتبادل وجهات النظر والعمل بدقة وتفاهم .

فالفنون كلها ذات منشأ واحد : هو الحس الجمالي وذات هدف واحد : هو تربية الشعب بواسطة الجمال .

وكلنا نأمل ان تحظى الفنون بالتقدم والرقي لكي تأخذ جمهوريتنا العربية الفتية مكانها اللائق بين دول العالم الاجمع فتعيد امجاد الماضي التليد وتكمل بناء صرح الحضارة الحديثة .

دمشق — الدكتور سلمان قطاية

الساعة الاخيرة

قصة بقلم

بدر الدين الحاضري

(من الاصدقاء)

لم يكن يختلف في مظهره مطلقاً عن مظهر زملائه في مدرسة عمر المختار ، فقد كان يسعى اليها كل صباح كما يسعون ، ويعود منها في الظهيرة وقد ادى ما عليه من واجب . الا انك اذا واكبته النظر وهو يدخل الى غرفة المعلمين يلقي على زملائه تحية الصباح ، لرأيت شيئاً غريباً ؛ فقد بدوا وكأنما ادركتهم الصرخة ، فغروا افواههم ، وشردوا بنظراتهم ، وردوا التحية همسة لينة ، وفي عيونهم عطف ، وعلى شفاههم الم ، ثم يتسللون لواذاً ، ولا يبقى معه الا من اضطره عمله ، او استبقته اوراق يريد ان يلم شعوثها ويبقى عندئذ وحيداً ينتظر قرع الجرس وكم مرة حاول ان يقنعهم بالعدول عن خطتهم ، وان يخرجهم عن صمتهم المطبق كلما رأوه ، فما افلح ، ثم رضي بموقفهم منه ، وراض نفسه على الرضا بذلك ، تاركاً للزمن وحده ان يحدث ذلك التغيير فقد كان يعلم مبلغ الصدمة التي اصيبوا بها في نهاية العام وهم يرون اخاه يجود بأنفاسه الاخيرة ، وعطلة الصيف وحدها لا تكفي لتبديد المنظر الذي علق بأنظارهم واذا دخلت معه الى الصف فلن يقل عجبك واستغرابك فهذه القلوب الصغيرة التي ما تعودت الا المرح والجلبة ، وتسمع صياحهم يبلغ السماء ، تراهم كأن على رؤوسهم الطير ، لا يتحركون الا بمقدار ولا يتكلمون الا اذ سمح لهم ــ هو ــ بذلك . فقد كان اخوه في العام المنصرم يجلس في مكانه ، وكانوا يسمعون منه ــ على الدوام ــ ان الكلام الكثير يتعبه ويؤذي حنجرته ، ولم تصدق القلوب الصغيرة ما كان يقوله اخوه ، حتى صدقته عيونهم ، ورسم الهلع القاتل في انظارهم صورة لا سبيل الى ان يمحوها الزمن ، في عام ، او بعض عام . بل ان ما كان يدور في القرية من احاديث وتعليقات حول ميتة المعلم في المدرسة خلقت صوراً وخيالات تكاد تعصف بمداركهم ، وجعلت منهم في الصف دمى فاقدة الحركة ، لأنهم بغريزتهم يعدون انفسهم مسؤولين الى درجة كبيرة ، عن تلك الحادثة ولن يقعوا مرة اخرى في مثل ما وقعوا فيه من قبل ، الا انهم ــ في اعماقهم كانوا يتساءلون ــ دون جواب . عن سبب اصرار معلمهم » على مهنة لا ينجع فيها الا صاحب حنجرة لا تتعب ولا تكل ، ومعين لا ينضب من الثرثرة ، في مناسبة وغير مناسبة . وكم مرة حاول ان ان يقنعهم بالعدول عن خطتهم وينفخ فيهم من روحه ، ليعيد اليهم مرحهم الطبيعي ، ونشاطهم الذي تحث عليه قواعد التربية ، ولكنه عبثاً كان يحاول ، فقد كانوا واثقين ، ان المحنة التي ابتليت بها اسرته ، لا تتغلب عليها شجاعة يصطنعها ولا جرأة على الموت يفتعلها ، ويترك كنفيه وقد راض نفسه على السلوك الذي فرضه عليه تلاميذه كما راض نفسه قبل على الرضا بتصرف زملائه نحوه ، فأقل الكلام ، واتخذ الاشارة عوضاً عن الكلمة ، والكتابة على السبورة مقابل النطق ، والنظرة مكان الوعيد والتهديد وحين يمضي اليوم الدراسي ، تراه يركب دراجته الى قريته وقد لف حول عنقه شالاً من الصوف ، يتقي به عدواً آخر من اعداء حنجرته ، فقد كان البرد لدها واعتاها ، وهو في نظره وحده ، جعل اخاه يلقى مصرعه في العام الماضي وفي الطريق كان يستعيد كل يوم صورة اخيه الراحل ، الذي لم يهنأ بزواجه الا اياماً معدودة ، وتطرق سامعه الكلمات الاخيرة التي استطاع ان ينتزعها من حلقومه وهو يختنق ، فقد اوصاه ان يحل مكانه في كل شيء حتى زوجته ، وحين تخطر بباله (سمحية) لا يسعه الا ان يرثي لحالها ، فقد ذاقت مرارة الترمل وهي بعد في شهر العسل والآن لا تسمح لنفسها بالتمادي معه ــ وهو زوجها بعد اخيه ــ في المداعبة والمحادثة فقد كانت تخشى على حنجرته ان ان يصيبها ما اصاب حنجرة زوجها الراحل ولعل ذلك كان ينال من نفسه اكثر مما ينال تصرف زملائه المعلمين ، وتلاميذه الصغار .

وكم مرة ، حاول ان يقنعها بالعدول عن خطتها ، وان حنجرته تختلف تماماً عن حنجرة اخيه ، اذ ان ارادة الحياة عنده ، أقوى من هجمة الموت ، وهو قد اعد العدة لكل احتمال ، وسد على الموت كل سبيل ، فما افلح في محاولاته ، وحمل نفسه على الرضا بالواقع ، والقناعة بهذه الحياة الهادئة التي يستطيع ان يخلو فيها الى التفكير العميق ، والقراءة الجادة .

ويمر به – في الطريق – ابناء قريته بعد ان قضوا مثله سحابة النهار في تعب وحرث ، يخدمون الارض الطيبة ، فيبدءونه بالتحية ، غير منتظرين رداً عليها ، مكتفين بهـذه البسمة التي كانت ترتسم على محياه ، كلما لقي احدهم ، والتي يستطيع وحده ان يفسرها ، فقد كانت تعبيراً عن شكره وامتنانه ، لهذا الشعب الطيب ، الذي يحمل بين حناياه قلوباً لا تريد الأذى ، ونبلًا يترفع عن مآسي الآخرين

وحين وصل الى بيته ذات مساء ، اتجه رأساً الى غرفته حتى دون ان يلقي تحية على زوجته وامه ، فقد نوى ان ينتهي في ليلته هذه من الدفاتر المتراكمة ووظائف الطلاب الكثيرة ، ويعد دروس الغد، اعداداً جيداً اذ بلغه أن المفتش في طريقه غداً الى المدرسة ، وهو من عرف عنه التشدد المقيت ، والتزمت ، حتى ليذكر الليلة التي كان فيها أخوه كاسف البال ، حسيراً ، يكيل للنظم البالية العتيقة ، اشنع السباب ، اذ تجمل من المفتش نصف اله ، يتحكم في المعلمين على هواه دون ما ضابط أو مرجع ، وحسبه أن يفتش عن المساوىء ليذكرها ، وان يبدي رأيه في طريقة من طرق التدريس ، ليرفعها الى السماء ، الا انه لن يترك في غيره مجالاً ينفذ منه المفتش ، فقد اعـد العدة لكل احتمال ، هو الذي تحصن امام الموت ، فقسم دروسه تقسيماً عادلاً بين طرق عدة ، وجمع بين التقريرية والاستجوابية ، وبين طرق اخرى كان قد انسيها منذ ترك دار المعلمين .

ونام ليلته ، واحلام الغد القريب تساوره ، وخيالات اخيه الراحل تواتيه ، وطبيعة غاضبة مزمجرة ، تطرق زجاج النافذة ، وتبلغ مسامعه فتشوب تلك الاحلام ، وتثير تلك الخيالات ، حتى استيقظ في الصباح والقى نظرة عبر السهول الممتدة امام ناظريه ، فرأى يوماً اغبر ، وسماء تقدح بالشرر ، وسمع الرعد يجلجل في الآفاق . كأنه عويل أم انذرتها الغيوب بالثكل ، او زوجة حدثتها النفس بالضياع ، فمص شفتيه وهز منكبيه ، وليحدث الطوفان . ورجته امـه البقاء فما قبل ، وتوسلت اليه زوجته ان يلزم بيته فما سمع ، واعد دراجته ومحفظته مليئة بالدفاتر ووضع حول عنقه شاله الصوفي وانطلق الى المدرسة

كان في الايام الصحو ، حين يخرج من قريته ، يرى مشارف القرية المجاورة تلوح في الافق ، وتبدد أمام ناظريه مدرستها المبنية بالحجر الابيض ، كأنها النور الذي يسعى على هداه ، فقد ارتبط مصيره بها منذ ان قبل التعليم مهنة واضطره موت أخيه ان يعول أما ، وان يتخذ زوجة ، ولكن القرية لا يبدو منها اثر ، والمدرسة لا تلمع امام عينيه ، فقد غابت وراء سحب دكناء ، وتحت عاصفة ضارية ، وها هي قريته لا تزال قريبة منه كأنه لم يغادرها ، ولا تزال امامـه ثلاثة أميال

وقف في منتصف الطريق ، ليحكم وضع الشال فوق عنقه ثم تابع سيره بعد ان داخلته الطمأنينة ، وشعر ان الموت ابعد ما يكون عنه

حقاً ان التحليل الطبي الذي اجراه مع أخيه ، قد اثبت ان دمهما من فصيلة واحدة وان العوارض التي بدت على اخيه قد تبدو عليه ، ونصح له الطبيب بالحذر الشديد من عدوين لدودين : البرد والكلام . أما الكلام فقد كفاه الله مؤنته ، وخفف عنه ويلاته منذ ان علم الناس امره ما علموا واما العدو الآخر ، فانه قد احتاط له أشد الحيطة ، وبعيد ان لا تكون العناية الالهية ترعاه في يوم قمطرير ، كهذا اليوم ، لم يستطع ان يلزم فيه عقر داره ، ومع ذلك فلا داعي للخوف ، فالمدرسة غدت قريبة ، وبعد لحظات تكسبه مدفأتها الحرارة والدفء

ووصل الى المدرسة ، واقبل على زملائه يحييهم ، ورأى طلابه فربت على كتفهم ، فما انكر زمـلاؤه التحية ، ولا استغرب التلاميذ هذه الحركة فقد تعودوا منه هذه اللغة منذ زمن بعيد الا انه كان ينوي في يومه هذا امراً آخر فهو يريد ان يستعمل اللغة التي يستعملها كل المدرسين وان يحصل على تقرير جيد يمحو فيه تقرير اخيه ، ودخل الصف ، وهيأ نفسه وطلابه للحظة الحاسمة ، وانتظر لحظة ولحظة ، والمفتش لم يأته بعد ، ومضت الساعة الثانية والثالثة ، والرابعة ، ولم يبق الا ساعة واحدة ، هي الاخيرة من هـذا اليوم الدراسي ، ودخل الصف ، واراد ان يبلع ريقه فشعر به يقف في الحلقوم ، واصابته رعشة لحظها تلاميذه الصغار الا انه سرعان ما استرد انفاسه واعتبر ذلك امراً عادياً ، يحدث لكثير من الناس . وجلس في مكانه ، وكان يمكن ان يقضي هذه الساعة كما قضى غيرها من قبل ، لو أنه دخل في روعه انه لن يتمكن بعد اليوم ، ان يلقي درساً آخر باللغة التي يستعملها كل المدرسين في بقاع الارض ، فعزم على ان لا تفوته هذه الفرصة ، ليثبت لطلابه انه لا يستمد قوة شخصيته من عطفه عليهم ومن خوفهم ان يروا مصير أخيه يتجدد امام أعينهم ، وانه قادر ان يؤدي دروسه كأحسن ما يكون الاداء ، فوقف على السبورة وخطط الدرس

واخذ يطبق مارسمه في ليلته الماضية ، والتلاميذ ينظرون اليه وكأنهم لا يصدقون مايرون، ولا يفقهون لهذا النشاط المفاجىء معنى ، فان المفتش الذي كانوا يتوقعون دخوله ، بين ساعة واخرى لم يأت ، ومحال ان يأتي بعد الآن ما دامت العطلة الانتصافية ستحل بانتهاء هذا الدرس ، فلا معنى لان يخرج على عادته تلك ، فلن يبقى في اذهانهم شيء مما اراده لهم وحين قرع الجرس . خرجوا وعلامات الاستفهام ترتسم على وجوههم وكادوا ان يتساءلوا فيما بينهم عن سر الساعة الاخيرة ، لو ان فرحتهم بعطلة طويلة في منتصف العام الدراسي، جعلتهم يتفرقون في الطرقات ويتدفقون تدفق السيل ، وينسون معلمهم والساعة الاخيرة

جلس في مقعده ، بعد ان خرج تلاميذه ، اذ شعر بدنو النهاية فانه لا يكاد يبلع ريقه وانفاسه ، تقف في حنجرته ، فقام الى الباب واغلقه بالمفتاح ، وقذف به من النافذة . فقد آلى على نفسه ان يموت ـ واذا كان مقدراً له الموت ـ بهدوء اكثر من ميتة اخيه ، وان يجنب الناس ذلك الذي لم يمض عليه اكثر من عام ، فقد سئم منهم نظرات العطف والرثاء والآن ، فقط يشعر بمقت وكراهية لمعاملتهم اللطيفة التي كانوا يخصونه بها ، ولن تصافح عيناه أعينهم ، وهو يحقق لهم ظنونهم ، بل سيموت دون ان يشعر به احد . الا ان هدوءه ذاك ، ودراسته لامر موته لم يطولا كثيراً . فقد تضخمت لوزتاه بصورة محسوسة . وكان يمر براحة كفه حول عنقه فيحس بها تكبر وتكبر ، كما لو كانت تريد الانفجار ، واخذ نفسه يتقطع ، وسمع حشرجته بأذنيه ، الا انه لايزال يصطنع الهدوء ويحمل نفسه عليه حملا فثبت يديه على رجليه ، واخذ يحرك رأسه ويحاول ان يبلع ريقه ، وينظر الى الهواء يملأ الرحب ويضن عليه بما يملأ رئتيه ، فاذا به ينتفض ـ فجأة ـ انتفاضة عصفور ذبيح ويركض هنا وهناك الى النافذة المقضبة مرة يمد منها رأسه والى الباب يهم بخلعه فلا يستطيع ، والى مقعده يضغط على نفسه ليواجه الموت بصبر وجلد مرة اخرى .

وفقد وعيه ، وتوجه الى النافذة يحملق في السماء ، ويستعطف الهواء ، ويشد قضبان الحديد ، فما رحمته السماء ، ولا رق له الهواء ، وانى ان يستجيب له الحديد ، وانطلق الى الباب كقذيفة عمياء ، فتحطم الباب ، ووقع المسكين على الارض يتلوى من الالم ، اذ رأى المعلمين وأذنة المدرسة يقفون امامه مبهوتين ، جامدين ، فقد ادركوا انه لن يجديه ان يتقدموا اليه بمعونه اومساعدة ، فقد وقف طبيب القريه في العام الماضي ازاء اخيه عاجزاً الايدي ماذا يفعل . وقفوا وفي عيونهم دمعة وعلى شفاههم الم وبعد لحظات ، كفت الحركة ، وهدأ النضال ، وصعدت الروح ، وانتهى عذاب مرير .

عادت المدارس بعد اسبوعين ، لتفتح ابوابها من جديد ، وحل معلم آخر مكان المعلم الراحل ، وقام المفتشون بجولاتهم التفتيشية ولم يطرقوا باب مدرسة عمر المختار .

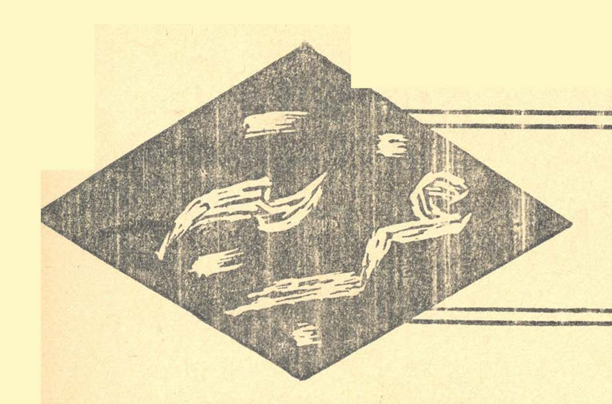
بدر الدين الحاضري



نظرت فلا بحراً رأيت من العيون .. ولا سماء
لكن ضباب ، ازرق الطيات ، منشور اللواء
وأنامل زهراء ، توغل في امنية الرجاء
نظرت ، فياعين اقرئي الأسفار واستجلي النداء
وتحسسي الآمال تهفو عبر اهداب الحياء ..
هي فرصة سنحت كما سنح الربيع من الشتاء
فاذا المسافات انحسار ، والنواميس انطفاء
واذا الاله يسلسل الانسان من طين وماء
عيناك : شباك الهواية يافتاة ، ولي ضياء

نظرت ، فقل للشعر ينصب معزفيه للغناء
قل للبلابل ان تطأطيء رأسها ، والكبرياء
المعجزات هنا ، هنا ، خلف العيون .. فلامراء
الحملقات لها نشيد ، والرفيق له حداء
ماذا أقول ، وقد اخذت العهد ، واحتدم الوفاء؟
ان اسفرت عيناك عن فاه ، تقفر ، واشتهاء ؟
لا شيء . قد علمتني : عيناك مفتاح العطاء
قد تبخلين ، وقد أجور ، وحسبنا كنز الصفاء
المؤمنان ، على شفا قلبيهما ، كتب السخاء

دمشق — محمد محمود الحسناوي



مُناقشَات

وجودية أم ماركسية ؟

هذا الاحراج الذي يطرحه الفكر الغربي على مثقفيه : وجودية أم ماركسية ؟ والذي يخترق العالم ، حتى يصل الى مثقفينا العرب ، انما يعبر عن أعنف تأزم بلغه الفكر ، وعاناه الانسان الواعي . وهو احراج يريد ان ينفي غيره من السبل ، في الوقت الذي يؤكد فيه ان لاطريق الا ان يكون واحداً من اثنين .

ولكي ندرك هذه الاحراج الذي حصر الانسان المثقف المعاصر ، لنلق نظرة على بعض اشكال الصراع الفكري

الذي اتخذته كل من الوجودية والماركسية حتى بلغت مابلغت من هذا التأزم الذي وضع طريقين امام الانسان لاثالث لهما ، هكذا كما يبدو على الاقل من ظاهر المشكلة .

يقول سارتر : ان كل فلسفة ، مهما تكن مثالية تأملية او واقعية مشخصة ، تقوم على منهج ، والمنهج من طبيعته انه يؤثر في سير التاريخي ذاته (١) . وعلى هذا فاذا كان العصر الذي نحياه يتمزق اليوم الى هذين التيارين ، وجودية وماركسية ، فمعنى هذا ان عصرنا يحتمل في طبيعته ان يكون وجودياً وان يكون ماركسياً . فمنذ ان اتى هيجل بفلسفته الجدلية اثبت حقيقة جديدة اكدت في جميع تيارات الفكر فيما بعد ، وفي البنى الاجتماعية لهذه التيارات . وهي ان الوجود ليس فكرة مطلقة ، كما انه ليس مجرد تبعثر وقائع لامعقولية لها . ان هناك حركة بين الواقع الموجود وبين الفكر الذي يجوز على اطلاقيته في خروجه عن ذاته . وتجسده في الموجود ، انه يحذف نفسه في خارج عنه ، يتبعثر ، ويضيع في درامية الموضوعية ، ولكنه لايلبث حتى يرجع الى ذاته ، يدخل الى صميميته ، متخطياً ومتجاوزاً لمرحلة نفيه ، ليتأكد لذاته مرة اخرى . ومن هنا يدعو سارتر فلسفة هيجل بانها أكبر عملية تجريد كلية فالانسان يتحول الى موضوع خارجي ، ينفي ذاتيته ، ويضيع بين الاشياء ، ولكنه يرجع الى ذاتيته بواسطة المعرفة (الفلسفة) ، فيعيد الى وجوده الانسجام باسم ادراك المطلق من خلال حركيته بين الداخل والخارج . وبهذا يتجاوز هيجل جميع اشكالات الموجود العياني ، ودراميته وتمزقه ، وحيرته ، وقلقته الوجودلي ، بواسطة التجريد الذهني الفارغ . ولذلك ما كان للجدل الهيغلي ان يقرب الواقع حقيقة . وكان على كير كيجارد ان يبرز هذا الموجود الواقعي ، وان يثبت حقيقة مقابل كل عملية مقرية ، ومصفية تجريديه تحذف كل حياة عن هذا الموجود . غير ان كير كيجارد اذا كان فعلاً قد استطاع ان يؤكد واقعية هذا الموجود ، الا انه موجود غير متموضع خارج ذاته ، انه ذاتية فردية صامتة ، تعاني مأساتها بفرديتها ووحدويتها ، وهي تلك المأساة القائمة على الشعور بالهوة المطلقة بين الذات المؤمنة والله ، الذي ليس هو في نهاية التحليل الا تعالياً ذاتياً آخر ، قد يوجد في اعماق المؤمن نفسه .

وفي رأي سارتر ان كير كيجارد قد استطاع ان يخطو خطوة بالفلسفة نحو الواقعية بالنسبة لفلسفة هيجل . ولكن الماركسية هي التي استطاعت ، في رأيه كذلك ، ان تثبت واقعية الانسان اكثر عندما وحدت بين الحياة والانتاج ، دون حاجة الى الاعتماد على ذاتيته ـ كما اعتمد كير كيجارد ـ خالصة ، لايرن فيها غير صداها الخاص الاجوف .

ويقول سارتر : ان الحرب والاحتلال والمقاومة والسنين

(١) الازمنة الحديثة – العدد ١٣٩

التي تليها هي التي جعلت جيل المثقفين يصطدمون بالواقع المشخص مباشـــرة ، فتتفتح أعينهم حقيقة الجدل التاريخي ، والدور الذي تلعبه فيه الطبقة العاملة . ويتساءل سارتر : ومع ذلك لماذا احتفظت الوجودية باستقلالها وجدارتها ولم تنحل في الماركسية .

ويجيب على هـــذا السؤال جورج لوكاس الفيلسوف الهنغاري ، كما يدعي في كتابة (وجودية ام ماركسية ؟) .

وقبل ان نخوض نحن في غمار هذا الصراع بين فيلسوف الوجودية جان بول سارتر وبين أحد كبار الفلاسفة الماركسيين المعاصرين لوكاس هذا ، نخط بسرعة بعض ملامح ومراحل الصراع بين المذهبين .

في الواقع لم يتضح هذا الصراع بين النزعتين الا في السنين التي تلت الحرب الاخيرة ، رغم ان الفلسفة الوجودية منذ ايام كيركيجارد ، وبعده غابريل مارسيل ، وهيدجر وياسبرز قد انتشرت مفاهيمها وموضوعاتها الاساسية . الا ان وجودية سارتر هي التي كان عليها ان تواجه عنف المعركة مع الماركسية وحدها تقريباً ، في ميادين الفلسفة والادب والسياسة والحياة اليومية . وكان جل مايكتبه سارتر او يحاضر فيه من مرحية او نقد فلسفي أوعرض ، او تعليق سياسي ، يتناول بصورة مباشرة او غير مباشرة ، الفكر الماركسي والتطورات الايديولوجية له ، والحوادث السوفياتية والسياسة الحمراء ، يتناولها بالجرح والهجوم والاصطدام الذي لاهوادة فيه . ولقد كانت مسرحية (الايدي القذرة) اعنف صور هذا الاصطدام . اذ دارت حوادث هذه المسرحية حول قيمة الفرد وحريته في حركة طاغية مكيافيلية ، تستعمل الافراد كقوى مادية ، او كأحجار الشطرنج ، لتنفيذ أهداف ومآرب تبدو وكأنها تبني لعالم بعيد في المستقبل ، ولكن على اساس القضاء على واقعية الحاضر الانساني .

ولم يترك الماركسيون بالمقابل ثمة وسيلة فكرية او صحفية او يومية ، الا واتبعوها لمقارعة سارتر ، وقد حشدوا له جميع قواميس سبابهم وشتائمهم التقليدية . وهي في ارقاها لم تخرج عن نعت سارتر بالبورجوازية ، وانه ماهر الاممثل أخير للفلسفة البرجوازية المنهارة .

ولكن سارتر الذي كان يتابع أحـــداث العالم بحس الفيلسوف المسؤول ، كما تحتمه عليه موضوعات فلسفته ، كان يقلق لتطور العصر كأحداث ، اوبالتالي كنتائج انسانية ، وبنى ذهنيه تشتق منه وتبنى عليه . فقد ادرك ان الاتحاد السوفياتي ، بصرف النظر عن عقيدته النظرية ، انما يمثل الى حد كبير الجانب الافضل من الصراع العالمي ، ان دعواته السلمية ، على الاقل ، تؤيد حرية الانسان وأفضلية وجوده كفرد حر مسؤول ضمن الجماعة الانسانية المتفاهمة . ولهذا اضطر سارتر ان يخفف من حدة موقفه من الماركسية بشكل عام ، كما ان الماركسيين بالمقابل ، الذين لم يجنوا من محاربته ماكانوا يرجونه وهو القضاء على الفلسفة الوجودية كتيار ثقافي واجتماعي معاً ، رحبوا بخطوط الالتقاء معه . وكانت هذه الخطوط عملية انسانية ، وهي قضية السلام العالمي .

واحاطت هذا الالتقاء الصحافة بهالة من الدعاوة المختلفة الصور والاهداف . حتى تأزم اللغط حوله ، واتهم بالوصولية او الذبذبة ، وعدم الاخلاص لنزعته الوجودية الاصليـــة . ولكنه صرح ذات يوم ، لمندوب صحيفة (لوموند) بانـه اذا كان قد اصبح شيوعياً احمر ، كما يريد البعض ان يصوره فانه يتحتم عليـــه ان يحرق كل حرف كتبه . . . ولكنه لم يحرق شيئاً .

ان هذا التصريح يلقي تفسيراً عميقاً على موقفه . انه يبين بوضوح ان اللقاء عملي تفرضه وضعية الصراع العالمي الذي انشق طرفين ، وكان طرف من مصلحته ان يدافع عن قضية السلام والحرية في العالم ، وهو مايهدف اليه سارتر عمليا .

ان هذا اللقاء لم يدم طويلا ، فقد اتبعته موجة ارتدادعنيفة جامحة ، على اثر قضية المجر في العام الماضي .

فلقد وضعت قضية المجر كثيراً من مثقفي المـــاركسية وانصارها امام ازمة ضمير حادة . وسارتر الثائر لم يستطع ان يحتمل هذه الازمة التي ترجع الى موضوعة رئيسية في مذهبه وهي فكرة (النية السيئة) التي طالما شرحها وفضح اصحابها ، وهاجمها على انها الوسيلة لان يتخلص الانسان من عبء حريته ويلقيها بمسؤوليتهـــا على الاخرين او الظروف . والانسان الوجودي هو الذي يواجه مشكلة العالم على انها مشكلته هو ، ولذلك لاموقف آخر غير المواجهة والتحدي بالفعل فقداخرج سارتر في مجلته (الازمنة الحديثة) عدداً خاصا ضخما بعنوان (شبح ستالين) . وكتب يبين فيه كيف ان التحول الذي نادى به المؤتمر العشرين للعودة الى اللينينية الصحيحة ، وامحاء شبح الطبقة البيروقراطية الستالينية في السياسة الداخلية والخارجية للعالم الاشتراكي ، ليس الا دعاوة خارجية سطحية ، وان

ـ البيت الذي يغني ـ

غنت اختي
رقصت
زرعت فرحاً غرف البيت
وجرت تستقبل اطفالا
ـ اهلاً بكمو
اهلاً ، اهلا
ركضوا ، فالبيت لهم ملا
كفراشات ، فالبيت ربيع
كالحب بديع

قفزت اختي فرحانة
فشموع سبعة تنتصب
كشموع سبعة تلتهب
طفئت
ـ مرحى .. مرحى ..
وعلت شفتي اختي بسمه
فجرى طما
قُبَلٌ ، قُبَلٌ
ودنت أمي
ودنا الكل
قُبَلٌ ، قُبَلٌ
فالكل سعيد
عصفور .. نشيد

ومشت اختي
كعروس خجلى ، في صمت
والبيت يغني
كأن به احداً في القلب
البيت يغني
وجرت تبكي
اختي تبكي !
والبيت يغني
وابي يرقب نشوانا
ـ اماه ، اخي لو كان هنا
البيت يغني
واخي في « الجبهة » لايعلم
البيت يغني
هذا اليوم لاختي عيد لايسلم
والبيت يغني ...

اللاذقية ـ خالد الشريقي

الطريقة العملية للحكم السوفياتي مازالت هي هي ، كما تبـــدت واضحة في قضية المجر .

ومنذ العام الماضي وسارتر يقارع الماركسية وطريقة الحكم السوفياتية .

حتى اصدر ثانية في نهاية عام ١٩٥٧ وبداية العام الحالي دراسته الضخمة عن هذا الموضوع ، وفيها يعاود صراعه القديم ضد الماركسية ، ولكن بطريقة جديدة ومحتويات ذهنيـة ، وجدلية ، وسياسية وعملية ، لاتمت الى محتويات المرحلة الاولى من نقاشه للماركسية .

وقد اعتمد في نقاشه الجديد على هذا على منهجين متغايرين ظاهريا ، ولكنهما متكاملان في حقيقة ممارستهما . منهج جـدلي ايديولوجي يجمع بين العرض والنقاش في موضوعين مختلفتين . الاولى تتخذ من الماركسية قاعدة باسم المـاركسية الاصلية المشروعة اضرب ماركسية اخرى مزيفة . والثانية تنفذ من خلال هذه الجدلية البارعة حتى الماركسية الاصلية هـذه باسم وجودية مستقلة . والمنهج الثاني عملي سياسي يتابع التناقضات التي ارتكبتها السياسة الروسية حيال ازماتها الداخلية وازمات العالم ، ويكاد يركز سارتر في هذا المنهج على موقف الايديولوجيين الماركسيين في فرانسا وتعليـــلاتهم للتطور الداخلي افرانسا وتناقضاتهم في هذا التعليل . وتكاد الامثلة الكثيرة التي يسردها في هذا الصدد . تغلب صبغة العرض العملي على الجدل الفكري الذي هو طابع الدراسة الاصلي .

وفي العدد القادم سنعرض اولا المخطط النقـــدي الذي استند اليه جورج لوكاس في مهاجمته الوجودية ، لانه يؤلف موضوعة رئيسية في دراسة سارتر الجديدة .

مطاع صفدي

قديم...

لاحدهم

هيبة

أهابك اجلالاً وما بك قــدرة ... علي ، ولكن ملء عين حبيبهــا
وما هجرتك النفس انك عندهــا ... قليل ولكن قل منك نصيبها

* * *

لاحدهم

تخشى الحِمام

هجرتك لاقلىً مني ولكن ... رأيت بقــاء ودك في الصدود
كهجر الحائمات الوردَ لمــا ... رأت ان المنية في الورود
تفيض نفوسهــا ظمأ وتخشى ... حماماً فهي تنظر من بعيــد

* * *

نفس تذوب

لبشار بن برد

خذي بيدي ثم ارفعي الثوب وانظري ... ضــنى جسدي ، لكنني أتصبر
وليس الذي يجرى من العين ماءها ... ولكنها نفس تــذوب فتقطر

نسر النجوم

مهداة الى الاديب الشاعر الوزير أمجد الطرابلسي
بمناسبة ذكر اطلالة يوم الوحدة ـ شباط ١٩٥٩

اطلل علي بفجرك البسام ... يا واصل الارحام بالارحام
ذكرى تمر فيا لطيب مرورها ... فكأنها للنفس كأس مدام
حوطتها قلبي وكل جوارحي ... وضممتها بالحلو من احلامي
داويت بالذكرى كلومي كلها ... ومسحت بالذكرى على آلامي
لم يبق في نفسي المقيل لهاجس ... فشددت من زهوى على ايامي
رويت جوعي بالوضيء من المنى ... فهفا الى فجر يموج أمامي
يا مسكر الفجر السرى بعطره ... ألهبت روحي بالهوى وعظامي
ناشدته ألا يزيد خماره ... فأخاف من سكر على الانسام
لله درك يا جمال اما ترى ... كيف استحالت صرخة الاهرام
نضّرت آمال العروبة كلها ... وجلوتها نوراً وثار كرام
وزعتها قبساً ولم تبخل بها ... حتى على الاعداء والاعجام
لم يؤمنوا بالحق حتى جئتهم ... بالحق في حزم وفي اقدام
هبطت على أرض العروبة نفحة ... سمراء ـ معدنها ـ من الالهام
طال انتظار سنائها لكنها ... دبت دبيب البرء في الاجسام
ياصانع التاريخ ايقظ امة ... من سكرة الاحلام والاوهام
جاس الدخيل خلالها فاذلها ... واذاقها ما لم يذق لانام
الحاكمون مع الدخيل تعاونوا ... فتكاثر الفتاك بالاغنام
ياصانع التاريخ هذي امة ... لولاك لم تنهض لنيل مرام
اني لالمح في ملاحم زحفها ... لهباً يذيب جذور كل ظلام
اني لالمح في سرادق فجرها ... وثبات سباح الجناح همام
اني لاحلم بالنجوم وفرقها ... علم النجوم موحد الاعلام
اني لاحلم بالنجوم وفرقها ... نسر النجوم وقاهر الاعجام
هذا جمال العرب يبعث امة ... ويعيد شد بنائها بدعام
نبش العقول فيا عقول تحرري ... من كل طاغية زكل «حرامي»
واستقبلي فجر الصباح ودفأه ... وتقمصي الاعصار في الاقدام
سيري وراء جمال فجمالنا ... الق الصباح ونفحة الالهام
وترسمي العملاق في وثباته ... وثباته غار ورفعة هام

مدير ثانوية دريكيش : حنا الطيار

ديكسيليون

للشاعر اليوناني

بالماس

من الرخامة الاولى ، من الرمس الاول اسمع صوتاً منساباً اسمعه يقول : انا هو ديكسيليون ، انا ابن اثينا المعبود غذتني اناشيد ترتاوس المدويه وازعجت حلمي احلام اشيل .

في الطريق خارجاً في الطريق في العمل في المروج الندية غدت الشمس جسدي وفتحته كما تفتح براعم الزهر وفي المدرسة تعهده الله ورعاه والله يرعى الشباب ، وشذبه ونسقه وجمله لوناً جميلاً وعندما كنت امتطي صهوة جوادي كنت كمن يطير على جناحين وكنت اولاً بين الاذنين وكنت ارافق قارب اثينا وكنت اقول ايتها الآلهة . ضعي في صدري قلباً قوياً ، واجنحة لقدمي وعزماً ليدي لاذهب الى حلقة الصراع وازهو منتصراً في القفز والصراع والمسافات الطويلة . ان الشرف لعظيم ان يكون له قلب من حديد وجسد مجنح .

لقد طرقت حلمي اشواق المجد فقلت للاسياد اني اريد ان اسمو ، اريد ان اكون قائداً اريد ان اكون شاعراً مسرحياً مجيداً يسحر الجماهير اريد ان اكون صوتاً مدوياً في بينيكا وصاعقـــة اريد ان اكشف مع الفلاسفة حيث يركض ايليسوس بعذوبة وينشر شجر الدلب ظلاله الندية ، اريد ان اكشف عن ظلمات النفس واسرار الكوف . ولكن آلهاً رحيماً ، آلهاً لم يرد طرفه عني ، الهاً كان يحرسني اهلني لمجد اكبر وشرفني لاكون محارباً في سبيل وطني .

هوذا الصبح يردد أناشيد الحرب والحانها واثينا في احلامها الافلاطونية تستيقظ على مهل انها كالآلهة اثينا الآمنة الناعمة الهادية الابنة التي تحمل في قلبها مدنيتها اما اسبرطا الثائرة العاصية فانها تهددنا لقد تذكرت قسمي فركضت مدججاً بالسلاح وركبت جواداً نسالياً مجبولاً من الزبد ، جواداً يحب الحرب تدق حوافره الارض وتثيره الانغام الموسيقية العاصفة في اذنيه ويتململ الرمح المرتكز على قبضة اليد ونضيق صبراً ويلوح لي ان قلب كوردوس يخفق مجلجلاً كالرعد وقامتي ترتفع عالياً كقامة الياتس ويقودني الله في طريقي فاندفع ولا احد يستطيع ان يوقف اندفاعي .

لقد اشتبكنا في حرب . كانت الحــــرب في حقول كورنتوس وكان الاسبرطي وقد كوته حرارة الشمس قاسياً فكأنه ريح جنوبية عاتية تصدم وجهي . ان السنين العشرين من عمري كانت تضرم وتغلي . انك رجـــل من اسبارطا . اني شاب من اثينا . اعضديني ياظلال الاجداد ، ظلال المحاربين في مارتون . انني امسك اللجام وادفع الجواد كسهم ناري واميل وانحني وارمي برمحي الطويل فينطلق الى صدر الخصم فيتدحرج الخصم مندفعاً تحت اقدام جوادي . انني معجب بهذا الخصم العنيد لقد سقط وانتهى . لقد انطفأ ومع ذلك كان في سقوطه كانه يندفع صامتاً لمتابعة المعركة القاسية

انا هو ديكسيليون انا ابن اثينا حاربت وانتصرت ، حاربت في سبيل بلادي سيهاجمني الموت ينتزعني من هذه الارض ، سيهاجمني فيحملني الى عالم آخر . لن يرميني في لجة الموت . لن يرميني في الجحيم انه سيتركني خالداً مغبطاً . سيتركني تمثلاً من الرخام في البسيا المرمرية ، البسيا التي ان الزمن يعبر والارض تتغير وتمر الشعوب والعوالم وتتساقط اوراق الخريف لذاوية الصفراء اما انا فباق في مكاني ثابتاً . لقد ركع عــــدو بلادي تحت اقدامي . يالفرحة ، ياللحياة الظافرة ! ياللسعادة التي لاتوصف ! لقد تجمعت كل هذه الامور في البسيا المرمرية ، في البسيا الفن خالدة والخلود مكتوب للمكافحين المجاهدين في سبيل اوطانهم

مطران الروم الارثوذكس بحلب
الياس معوض

النقد الادبي في مواكب الاجيال

بقلم : عزت بشور

النقد الادبي معناه تحليل للقطع الادبية ، وتمييز لصحيحها من زائفها ، وجميلها من قبيحها وجيدها من رديئها . ولم يكن له هذا المعنى الاصطلاحي الا منذ العصر العباسي ، حيث تطور الادب تطوراً خطيراً تبعه تطور في الحكم عليه ، لان الناس مفطورون على حب الاختلاف والتناحر . قد تعجب لشيء يستهجنه غيرك ، وقد تحب شيئاً يكرهه سواك .

فالنقد الادبي وجد يوم وجدت الآداب ، وتطور مع تطورها ولقد كان في العصور الاولى فطريا يعتمد على الاحساس والذوق ، وكلما ارتقت الحياة الاجتماعية والعلمية والفلسفية . كلما ارتقت حاسة النقد . ولابد من القول هنا ، ان النقد الذي يقف عند الادباء وما صاغوه من آثار فنية ليحللها ويقومها ، مرشداً الى مواطن الجمال ، كاشفا عن مواضع الضعف والخطأ ، هو غير تاريخ الادب ، الذي يؤرخ الحياة الادبية في الأمة .

والنقد الادبي يلازم الأدب في جميع تطوراته ، في نشأته وجموده ويقظته : الادب موضوعه الطبيعة والحياة الانسانية والنقد الادبي موضوعه الأدب ، ولا يوجد نقد أدبي من دون وجود أدب .

قلت ان النقد الادبي كان في العصور الاولى فطريا بدائيا يعتمد على الاحساس والذوق وفي العصر الجاهلي تقدم بعض النقدم بين الشعراء لتعزيز الشعر وتكريمه ، دون أن يكون له قواعد وأصول ، وظل كذلك حتى وضعت علوم العربية فوضعت قواعده وأصوله .

كان للشاعر في الجاهلية تلاميذ يروون عنه شعره ، من قبيلته ومن قبائل اخرى ، وكان يعلم تلاميذه كيف يحسنون صنع الشعر ، وكيف يميزون جيده من رديئه . ولكم من شاعر معلم تحول الى ناقد مرموق يفرض نفسه على الشعراء .

وليس أدل على ذلك من الشاعر النابغة الذبياني حيث كانت تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ بظاهر مكة ، لينظر في قصائد الشعراء المتبارين القادمين اليه من مختلف القبائل العربية . وكان له أعوان يساعدونه في اصدار الحكم ، الذي يخرج به الشاعر الفائز جاراً اذيال الفخر والاعتزاز .

ومن بعض الآراء والاحكام التي جرت على ألسنة الشعراء تظهر كيفية النقد الادبي ، ومن ذلك نستدل على ان النقد كان بدائياً فطريا بسيطاً . ولسنا نطلب من الناقد الجاهلي نقداً ادبياً دقيقاً واضحاً له قواعده واصوله . اما كفاه ان يرينا تأثير الشعر والشاعر في نفسه ؟ أما كفاه انه مهد الطريق أمام نشاط النقد وتقدمه ؟

وأما في العصر الاسلامي ، وفي فترة الجيل الاول منه ، المسمى بعصر صدر الاسلام ، فقد سكت الشعر ولم ينشط النقد ، لان العرب شغلوا بالقرآن ، ومضوا في سبيل الفتوح ، وانما لنشط النقد ونما في العصر الاموي ، حيث ظهر شعر قوي بسبب تناحر بعض الشعراء ، وفي طليعتهم الاخطل والفرزدق وجرير . وكانت كل قبيلة من القبائل تحاول ان تنال قصب السبق في الشعر ، وبذلك نشبت معارك جدلية ولسوق « المربد » بالبصرة كان اهم مركز للجدل والحوار ، وكان باعثاً على نشاط النقد في تلك البيئة .

ومع ذلك نرى ان النقد الادبي في ذلك العصر ، بقي بسيطاً غير معلل ، ينميه الذوق والشعور ، ولا تنميه القواعد والاصول .

فالناقد كان يصدر حكمه كما يوحيه ضميره وهواه ، دون تعليل ودون انعام نظر وتفكير .

والخلاصة ان النقد في العصر الاسلامي كان غير معلل لايرجع الى مقاييس دقيقة ، وهو تقريباً كما كان في العصر الجاهلي . ولكنه نشط نشاطه الواسع ، وظهرت مدارسه ، ونشأت مذاهبه في العصر العربي حيث استيقظت الشاعرية العربية ، وبرزت النهضة الادبية مليئة بالعنفوان والحياة ، وامتزجت الثقافات الاجنبية بالثقافة العربية فنحن نرى في الشعر كلمات ومعاني وصوراً وأخيلة تمتاز بالجدة والطرافة ، ونرى النقد ، وقد ظهر متناولا الكتاب الى جانب الشعراء سائراً في طريق النمو والتجديد . ومن الطبيعي ان ينمو ويتطور مع تطور تلك النهضة ، وخصوصاً في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، حيث وضعت له القواعد والأصول .

ولانستطيع ان نجحد فضل أبي نواس في تطور النقد

آنذاك وذلك بسبب ثورته على الاستهلالات البالية في وصف الاطلال ، والوقوف على الآثار »

وكذلك « قدامة بن جعفر » طلع على الناس في كتابه « نقد الشعر » محاولاً اظهار الفلسفة في النقد ، مستلهما كتاب « أرسطاطاليس » في الشعر . وقدامة هذا كان بارعاً في معرفة الفلسفه اليونانية ، ولذلك . أحب ان يخضع الشعر العربي للفلسفة في نقده .

وبعد ظهور النقد الفلسفي ، ظهر النقد المقارن الذي أخذ يخضع كل شيء للبحث والدرس والتدقيق الفلسفي ، كان باعثاً لجدال عنيف بين الشعراء .

ثم جاء نقاد « كالآخذي » وغيره ، وبحثوا في نقد الادب معتمدين الفصاحة في الالفاظ ، والبلاغة في التراكيب ، مبتعدين عن الابتذال .

وبعد القرن الرابع للهجرة ، نجد النقد الادبي قد جمد تبعاً لجمود الادب ، وظل على جموده في العصر التركي ، الى ان جاء العهد الاخير فانبثقت شرارة الفن ، وبدأت تلمع في أفق بعد أفق من وراء الغمائم والسحب ، وظهرت النهضة الشعرية الجديدة التي يرجع الفضل في ظهورها الى شعراء العصر الثلاثة ، حافظ وشوقي ومطران ، وشاعرنا مطران هو الذي وضع أسس مدرسة التجديد .

وخلاصة الخلاصة ، ان النقد العربي ، نشأ ساذجاً ثم تطور تطوراً حياً ، ثم جمد وفقد كل ما كان له من جمال ، ثم نشط في هذه اليقظة الادبية الحاضرة ، المليئة بالعنفوان والحياة ، السائرة مع الركب العالمي في طريق التسامي والتحرر والجمال ولكن مع الاسف يؤخذ على بعض النقاد عدم تقيدهم بأدب النقد . فمنهم من يرسل الحكم الجارف في نقده ، فيأتي نقده عديم الفائدة . ومنهم من ينقد المؤلف دون ان يلتفت الى اثره الادبي .

فأدب النقد ليستهجن ذلك . الناقد عليه ان يكون موجهاً في نقده ، مبتعداً عن الذم والقدح ، بعيداً عن جعل قلمه مطية لشهواته ، ناظراً بمنظار النقد الفني الصحيح ، لا بمنظار الحقد والتشفي والانتقام ، والسلاح .

صافيتا : عزة بشور

« أنا .. وأنت »

.. أنا من ينابيع الغيوب تحدرت قطرات كأسي ،
أنا من شفاه الخلد من عبراته كونت نفسي ..
وغدي اذا لونته بمداد آثامي ورجسي ،
أو كنت بالخمر الزنيم ، وبالاما خضبت أمسي
فلأنني أهوى الحسان وفي الحذور أخط رمسي !.

* * *

.. أما هواك ، وأنت يا أعلى أزاهير الوجود ،
فمن الضباب المر ، من عرف المروج من الصديد ..
شفتاك لم يمسسهما الا الندى وفم الهنود
لكنني أستاف في عطر الاهاب شذى الخلود ..
وأضم فيك ألوهة الانسان في جسد العبير !!

* * *

.. ولذا أحبك ، ألف ألف احب فيك شذى السماء
وأحس اذ أنامل الأغوار في عينيك نار الأنبياء
وأود أغفو عند هيكلك الرجيم القدس أحلم بالصفاء ..
لكنني ، والموت يصرني ، ويمتص انتشائي
أخشى عليك ، أخاف تحرق حبنا نار الاباء !!

« علي الجندي »

تشرد ...

سليمان عواد

احلم بعض الاحيان في ليال
اقضيها متشرداً في الريف
انام على البيادر
اشم رائحة السنابل
املأ روحي بعبير البرية
والنجوم تزهر في قلبي
أغان من اقحوان ..

* * *

احلم .. في امسيات قرب البحر
اتمدد على الرمال .. خيالاً مجنحاً
صاغياً الى صخب الامواج الأبدي ..
والأنوار في السفن
تحملني الى شاطيء غريب
استنشق من خلال لجنه
اريج البحر
وشذى الاسماك
وهي محمولة في الفجر الندي
على قوارب الصيادين ..

* * *

... احلم ان يكون لي جناح
يطير بقلبي حتى آخر العالم ..
وعند نهاية رحلته
استقر في كوخ شاعري
في مراعي القمر ..

«كف الاصيل»

وطوانا كف الاصيل فجزنا
ذلك الدرب والغمام ركام
والشجيرات عازف هزه القر
فهلت من قوسه انغام
فكرة نحن لفها مطرف الغيب
وحلم تستهافه الانسام
نفقت علينا الشموس وغيضت
في سحيق المدى صلاة تقام
واعتنقنا آمين عبر السواقي
فاستحمت في بوحنا الآلام
تنسج الافق بالدراري نجوى
ونهز المغيب وهو ينام
ونغني فيرشف الدرب فغنانا
ويحبو في شطئينا الظلام
نشوة عاضت الدنان وكأس
ماتغنى بمثلها « الخيام »
فاسمر ياليل « بالعتابات » رهواً
وتمطي في الظل يا أحلام
فغداً تمرع المجلي وتزهو
بروأنا العصور والايام
نام عنا الحلى حين انثنينا
وتعرت من حولنا الاوهام
وطوانا جفن الظلام فجزنا
ذلك الدرب والغمام ركام

دمشق ـ فؤاد العادل

راية بلادي

رفرفي فوق امتي وتهادي نحن نحميك من نيوب الأعادي
اخفق البغي واستدار ذليلاً وتلاشت قوافل الاوغـــاد
وانتصرنا ، ورفرفت راية المجـ د ، ودارت زغرودة الاعيـــاد
انت يارايتي شعار بلادي واماني قوميتي وجهـــادي
لونك الاحمر الذكي دمائي ودماء الآباء والأجـــداد
لونك الثورة المجيدة تنقـ ضّ على الظلم والاذى والفساد
فتدك الطغيان في كل ارض وتبيـــد الاقطاع في كل واد

* * *

وجعلنا امامنـــا لونك الاسـ ـود ، رمز الخـــنى والاستعباد
حين كنا نطأطىء الرأس كالعبـ ـدان نرجو اوامر الاسيـــاد
حين كانوا يستنزفون اراضيـــ ـنا ويصلوننا على الاعواد
ومضى العهد ، عهد كل دخيل وطرحنـــا اسيادهم في المزاد
كل مليون واحد من حماهم بحذاء من صادرات بـــلادي

* * *

رفرفي رايتي فقد طلع الصبـ ـح وغنت اطيـــاره في البوادي
وزها الغصن ابيضاً يمسح الشـ ـر بأيـــد مفروشة بالوداد
ارضنا جنة الخلود حفظنـــا ها باجسادنا وبالاكباد
ليس يمشي على ثراهـــا غريب نحن ـ ابناءهـــا ـ على استعداد
قــد بنينا وجودنا ، والمنايا فوق اجفاننـــا على ميعاد
لن يعود المستعمرون وفي كفـ ـي نبال ، وفي يـــدي اولادي

* * *

هذه النجمة الغميسة بالعشـ ـب ، بذوب الدموع ، بالامجاد
تنحني فوق اختهـــا تائم الجر ح بثغر منور وفؤاد :
في غد ياشقيقتي النفس تنضـ ـم نجوم اخوى ، برغم البعاد
وتصير الصفوف صفاً كبيراً من ربا مسقط الى بغـــداد
ايها الظلم ، قد تلاشيت فاحذر كل غـــدر ، فنحن بالمرصاد

اللاذقية ـ وديع سمعان

قلم له رائحة

قصة بقلم :

سليم زهدي

يا أصدقائي ويا تلاميذي لا تتخيلوا ما حدث بعد ذلك فأنا لا أستحق ظلمكم

« س »

لن تجهد نفسك اذا تعرفت عليه حتى تيقن انه «فنان» فنان نكتة ، فنان حديث .. أحدثك عن الأدب فيشعرك ربما من غير جهد بأنه أديب كبير ..

ويحدثك عن الصحافة فيجعلك تقر وتقتنع بأنه صحافي قدير . ويحدثك عن السياسة وربما استطاع ان يقنعك أيضاً بأنه سياسي ضليع . أما اذا انتقل الى جو آخر من الحديث . الى المرح والنكتة فانك تشعر أنه فنان بكل ما في هذه الكلمة من معنى . يحكي الطرافة او النكتة فتروج عيناه ونظارتاه السميكتان ، وجهه المربضة قبل أن يترجمها فمه حديثاً حلواً تسبقه الابتسامة المرحة وحركات اليدين التقليدية من ضغط على المنظار ، وتسوية لياقة القميص وربطة العنق . وتبدأ الطرافة وتبدأ شخوصها بالحركة أمام ناظريك حتى لتشعر كأنك أمام فرقة كبيرة على مسرح متكامل الزخرف . وغالباً ما كانت طرافته تنتهي بضحك طويل صادر من الاعماق . ولذلك طرافته ونكتته ، لا بل تمثيله حتى تتقصد ان تجتمع معه ثانية وثالثة في جلسة مرحة على مستوى الاقداح فتشرب معه . وتستمتع بظرفه وتغرق نفسك في مرحه وحديثه بعض الوقت تتمنى لو يطول فيصبح ساعات وساعات .

هذا هو صديقي الذي تقصدت ان القاه ذلك المساء ، لأقضي معه بعض الوقت في شربة كأس عرق ترويحاً عن النفس بعد أن سئمت حياة المدرسة وضجيجها . والتلاميذ ومشاكلهم الكثيرة .. ومشكلاتهم المتواصلة .

كان صديقي في ذلك المساء كعهدي به .. مرحاً من غير تكلف . ظريفاً من غير عناء . يدل على ذلك حديثه الذي لا يخلو من لفتة مرحة ونادرة ظريفة .. وعندما جلسنا متقابلين على طاولة واحدة في احدى المقاهي الصيفية المنتشرة في أطراف العاصمة كان الجو لطيفاً منعشاً . يوحي بالسهر والشراب .. وربما بالمرح أيضاً .. وحاولت ان انسى تعب النهار وان أمرح .. واستشعرت بعض المرح والسرور يدبان الى قلبي ونفسي ما لبثا ان انقلبا الى شعور بالغبطة والسعادة حين قدم لي صديقي كأساً من الخمرة اضاف اليه الكثير من روحه المرحة .. وأحاديثه الشيقة وشرب وشربت .. واحسست مع نشوة الشراب .. ولطافة الجو المعشقة .. وظرافة جليسي الممتعة ان باستطاعتي ان اوزع على الناس جميعاً فرحاً وسعادة .. وربما شعر صديقي بمثل ما شعرت به

وانتهى بعض الوقت هذا بشرب كأس في احدى المقاهي الصيفية ، ليبدأ بعض وقت آخر وسط العصمة .. بل وسط علبة من علب الليل قالوا في اعلاناتهم عنها انها تقدم فناً راقياً .. شابات لعبت النشوة في رأسيهما أحس بسعادة لا متناهية في يوم عطلتها الاسبوعية ..

واستلمتنا الاضواء الخافتة الحمراء ، واخذت تعمل فينا طبعاً وتحميضاً وتلويناً حتى اخترنا طاولة ملائمة من بين الطاولات القليلة التي ماتزال تعلن عن استيعاب العلبة لعدد آخر من الرواد ممن يمكن ان يجذبهم ماقاله الاعلان في الخارج . وجلسنا بترف على الكراسي الانيقة اللامعة .. واخرج صديقي صندوقاً من التبغ الامريكي الفاخر كان اشتراه في الطريق واشعل منه لفافة .. واعتذرت وبدأت اصنع لنفسي لفافة من التبغ الشعبي .

واستقبلنا بحذر للعيون .. عيون جيراننا عن الشمال .. وعن اليمين تتفحصنا بفضول وأمعان . الطاولة على اليسار يجلس بجوارها ثلاثة شبان عرف واحد منهم صديقي فأشار له بالتحية عندما التقت عيونهما . وطاولة اليمين كانت تسعد بجوار حسناء . يصل عطرها الدافىء الى انفي ناعماً رقيقاً .

واستطعت ان اميز ملامحها عندما انتهت نمرة الراقصة التي كانت على المسرح تحاول ان ترقص . واضيئت الانوار سمراء غامقة على حلاوة . عيناها سوداوان واسعتان تطلان على الناظر وبصفقان له بهدبين ناعسين فحين سوادهما اشرف وابدع من سواد العينين . وشعرها الطويل المسترسل حالماً على كتفيها العاريين متجانساً مع لون الجسم الاسمر الغامق وسواد الهدبين الاجمل من سواد العينين الواسعتين كانت تجلس «بارستقراطية» ظاهرة وأمامها على الطاولة كأس « ويسكي » بعث به احد الزبائن توزع النظرات هنا وهناك وعلى شفتيها ابتسامة عريضة .

وجاءنا « الجرسون » بكأسين من الويسكي . وشربنا ومع كل رشفة كنا نزداد نشوة وسعادة . وثرثرنا كثيراً ، وربما عن كل شيء . وكنا نثرثر بعض الاحيان بأشياء طريفة ومضحكة تسمعها جارتنــا السمراء فتسرها وتضحكها . ضبطتها عيناي مرة وهي تضحك فقطعت ضحكتها وارتبكت قليلا .. ولعلها استقرأت في وجهي شيئاً ماشجعها فعادت تبتسم واحنت رأسها مشيرة لي بالتحية .. وغنت مطربة شقراء لحناً شعبياً وشيقاً . استمعنا له . وبدا صديقي كأنه معجب باللحن ومهتم . وصفقنا مع المصفقين . وصفق صديقي وأتانا الجرسون بكأسين آخرين من الويسكي . وطلبت السمراء مني ان اشعل لها لفافتها . قمت واشعلت لها بولاعة صديقي الانيقة وشكرتني . . وابتــدأ البرنامج الغربي وانصرف قسم من الرواد . وبدت العلبــة كأنها اوسع مما هي عليه . ورقص صديقي مع احدى « الارتيستات » وبقيت وحدي على الطاولة مع نصف كأس ويسكي . وأخرجت لنفسي لفافة من صندوق رفيقي الذي تركه على الطاولة . . وهممت باشعالها من عود الثقاب الاخير الذي كان في الصندوق وقبل ان احاول اشعاله كانت يدبضة ناعمة تفوح منها رائحة عطرية حبيبة تمتد الى بولاعة ذهبية انيقة . وعندما كانت اليد الناعمة الرقيقة تعالج الولاعة بضعف ، كانت رائحــة الجسم الاسمر الغامق الذي انتصب امامي تملأ خياشيمي بنكهة الذ واعطر من نكهة اللفافة الفاخرة التي كانت ترتجف بين شفتي وعندمــا انتهت الرقصة وعاد صديقي وجدني غارقاً مع السمراء في ثرثرة لاتنتهي وأمامها كأس ويسكي .. وانحنى صديقي بلباقة وقدمته اليها .. وجلسنا وبدأنا ثرثرة جديدة .. ثرثرة ترضي الجنس الناعم وتجعله شاعراً بأنوثته وسحره .. واعترف ان صديقي كان أبرع مني بهذا النوع من الغزل او الثرثرة التي استحسنتها السمراء واخذت تضحك لها ضحكات ناعمة متصلة لايعكر صفوها الا رشفات الويسكي وصخب جيراننا الشبان الثلاثة اصحاب الطاولة اليسارية الذين اخذوا يهرجون ويمرحون مع اللحن الصاخب الذي كانت تعزفه الفرقة .. واعلن لحن « التانجو » الرقيق ابتداء الرقصة الثانية .. قمت .. وقامت .. وتركنا صديقي مع ثلاثة اقداح فارغة . وعندما كان شيئان بارزان من صدرها يحنوان على صدري ويحاولان اللصاق به .. وهي وانا نتمايل على انغام اللحن كانت اصابع يدي تتحسس بغزل ومداعبة اجزاء من كتفها الاسمر العاري وتعبثان عبثاً رقيقاً بخصلات ناعمة من شعرها المتراخي بكسل وخمول فوق كتفها المسعور .. وراحت عيناي النهمتان الجائعتان تستعرضان اقسام الوجه العريض الذي افقدته المساحيق الكثير من سمار الغامق .. الشفتان المكتنزتان .. والانف الدقيق . والغمازتان المرحتان وسط الخدين .. وتسمرت عيناي والنشوة فوق سواد الهدبين الناعسين لحظة .. وحاولنا النفاذ الى ابعد من سواد العينين الصافيتين ، بينما كانت افكار زرقاء غامقة تضغط على رأسي وصدغي بصخب وحبور تنعكس همسات محمومة تختلط باللحن فتكاد لاتصل لاكثر من شحمتي اذن السمراء المبهرجتين بقرط انيق اصفر معرق بخطوط حمراء .. همسات فيها الكثير من الثرثرة الجنسية الفارغه والغزل الرخيص المبتذل .. كانت صامتة لاترد ومع ذلك فقد بدت وكأنها منسجمة مع ثرثرتي .. وددت لو تتكلم .. تقول شيئاً .. تجيب على ثرثرتي ولو بثرثرة اكثر فراغاً .. ولكنها لم تفعل .. وبدا لي اني ازعجتها بثرثرتي فصمت .. ورحنا نتابع اللحن لفترة .. عادت بعدها تسألني وكأنها اشتاقت الى ثرثرتي :

ــ لماذا صمت ..؟

ــ لقد أزعجك حديثي .

ــ بالعكس .. لقد كنت مسرورة به كثيراً .

ــ لدرجة انك لم تسمعيه

ــ ابداً ..

ــ اذن اتفقنا ..؟

ــ ان نثرثر .

ــ وماذا عن ..؟

ــ عن ماذا !؟

ــ عن ....

ــ آه فهمت .

ــ والتفت شمالاً ويميناً وقربت فمها من اذني وهمست بحذر كأنها تقول سراً لاتريد ان يسمعه احد :

ــ زجاجة ويسكي وخمسون ليرة .

★ ★ ★

عندما انتهت الرقصة وعدت معها الى الطاولة . كان شيئاً ما قد حدث في غيابنا .. الطاولة قد نظفت تماماً وانتزعت عنها اقداح الويسكي الفارغه وقشور الفستق الحلبي وبقايا اطباق الفواكه .. وحل محلها فنجانان من القهوة وكأسان نظيفان من الماء والثلج وضعت تحت احدهما فواتير الحساب العديدة ..

وصديقي يحتسي قهوته ومعه فتاة شقراء عرفت فيها المطربة التي غنت قبل قليل اللحن الشعبي الرشيق .. كان يتحدث اليها باندفاع عن شيء ما .. وهي تنصت اليه باهتمام ورغبة زائدين وقطع صديقي حديثه وقدمني اليها .. ولم يكن بحاجة لان يقدم اليها رفيقتي السمراء ..

وجلسنا وراح يتابع حديثه مع المطربة بحنكة ودهاء بعد ان استماحنا عفواً للحظات .. تحدث عن الصحافة الفنية ودورها في خدمة الفن .. وتحدث عن الدعاية واثرها في نجاح الفنان . وعن « الريبورتاج » الذي نقلته عن مجلته مجلة لبنانية كبيرة .. وعن الفنانة التي اجرى معها مقابلة صحفية واحدة جعلت العروض والطلبات تتهافت عليها من المخرجين والمصورين السينمائيين واشعل لفافة ثم تابع حديثه قائلا :

ــ تصوري .. انها كانت فنانة عادية .. لابل مغمورة .. شهرتها الآن تملأ القاهرة .. لقـــد مثلت ثلاثة افلام .. انها الدعاية .

وقالت المطربة توافقه :

ــ الحقيقة .. ان الدعاية سر النجاح .

ــ هذا هو الواقع .

ــ واقع ملموس .. الا تذكر سعاد .. ؟

ــ سعاد ! .. اية سعاد ؟

ــ سعاد زميلتي .. الا تذكرها ؟

ــ .. آه . ذكرتها جيداً .. سعاد هي التي عارفت بيننا .

ــ .. وهل تذكر العرض المغري الذي تلقته من حلب ؟

ــ اذكره جيداً .. فلقد تلقته بواسطتي بعد الريبورتاج المصور الذي نشرته لها

ــ هذا صحيح .. سعاد اعترفت لي بذلك

ونفض الرماد عن لفافته ، واخذ يتحدث عن الريبورتاج الجديد الذي سيكتبه لها .. والضجة الفنية الكبيرة التي ستنالها بفضله .

كانت تنصت الى حديثه دون ان تتفوه .. وبدت كأنها تود ان تغرق نفسها بكل كلمة يقولها . كان وجهها يعبر عن شيء ما .. ولم تستطع ان تخفي رغبتها عندما سألت صديقي الاستاذ سمير متلهفة :

ــ وماذا ستقول في هذا الريبورتاج يا استاذ ؟

ــ سنقول .. سنقول .. نحكي لمحة عن حياتك الفنية .. وصوتك الحنون .. وفنـــك الاصيل .. والمعجبين .. والعروض ... الخ

وعادت تسأل بشغف :

ــ وماذا سيكون عنوانه ؟

وكأن صديقي قد لحظ بحدسه الصحفي بريق الاقتناع والموافقة في عينيها فأجاب :

ــ قضية العنوان هـــذه تتبع عدد الصفحات .. صفحة عنوان صغير صفحتان عنوان متوسط .. ثـــلاث صفحات عنوان ضخم .

ــ وعادت تسأل :

ــ وماهو عنوان الثلاث صفحات ؟

ــ لكل حادث حديث .

ــ اريد ان اعلم .؟

ــ هذا سر المهنة .

ــ طيب خلاص اتفقنا . ثلاث صفحات .

وبرشاقة مذهلة اخرج من جيبه دفتر ملاحظات صغـــير مترف الغلاف . وقلم حبر حديث الصنع . انيق المظهر . واختار صفحة فارغة واخذ يتمتم ويكتب « المطربة الكبـــيرة الست تهاني عبد الحميد . تذكر لكتابة ريبورتاج في العدد القادم . ثلاث صفحات . عنوان على اربعة عواميد . صورة (١٠×١٥) وسط الصفحة الاولى . ترسل للحفر فوراً . لمحة عن حياتها . صوتها فنها . المعجبين . الخ » ورفع رأسه عن الدفتر ووضع القلم جانباً واخرج منديلا رمادياً مسح بـــه انفه . ثم ثبت نظارتيه على عينيه جيداً بكلتا يديه . وبدا كأنه يفكر بشيء ما . واخذ القلم ثانية بين اصابعه وحك في مؤخرته جانب رأسه وبقي هكذا لحظة . ثم لمعت عيناه ببريق مفرح حاد وقال :

اما العنوان سيحدث اكبر ضجة فنية هذا الموسم . وراحت تستحثه متسرعة واللهفة تملأ وجهها وعينيها :

ــ ماهو .. قل ؟

ــ تحفة .. تحفة .. تحفة الموسم .. ستنقله عنا جميـــع الصحف الفنية .

ــ ولكن ما هو قل اسرع ؟

ــ سأقول .

ــ قل ..

وراح يقول متباطئاً بفذلكة ظاهرة .. وكتب كل كلمة يقولها :

ـ قمر .. صناعي .. رابع .. يغزو .. العالم .

وكانت « الست » تهاني تصفق لهذا العنوان وتزغرد .. ولكنها اكتفت بما ظهر على وجهها من بهجة ورضا .. وسألت مستفسرة :

ـ .. ولكن ماذا يهمنا من العالم ؟

ـ يهمنا منه العالم .. عالمنا نحن .. عالمنا الفني .

وظهر على وجهها انها اقتنعت .. ومع ذلك عاودت تسأل :

ـ ـ ولكن لم ارك تكتب كلمة « الفني » هذه ؟

ـ انتبهي جيداً .. العنوان الذي كتبته سيكون بحروف كبيرة بارزة على عرض الصفحة .. وكلمة « الفني » ستكون هذه تحت هذا العنوان وبحروف صغيرة .

ـ رائع .. رائع .. عظيم .

كان يتحدث اليها بثقة وصمود كأنه مقتنع تماما ان باستطاعته ان يصنع منها شيئاً ما .. كانت تنصت اليه .. وبدت كأنها تود ان تهضم كل كلمة يقولها .. وتستظهر كل حرف ينطقه تماماً كتلميذة بليدة .

امتدت اللحظات التي استأذننا بها صديقي الى دقائق .. دقائق كثيرة .. تحدث فيها مع المطربة عن كل شيء يتعلق بالموضوع ـ موضوع الريبورتاج ـ الذي سيكتبه لها .. وكنت انا والسمراء نستمع للحديث ونشارك فيه بعض الاحيان .. وبدت السمراء كأنها مهتمة به لدرجة انها كانت تحرص ان لا تفوتها كلمة واحدة منه بالرغم من اصوات الهرج التي كانت تأتينا بين الحين والحين من طاولة يسارية مجاورة فيبدي صديقي انزعاجه لها وهو يتابع حديثه بصعوبة .. اما انا فلم اكن مهتماً بالحديث اهتماماً خاصاً بالرغم من استماعي الى قسم كبير منه .. لقد ألفت هذا النوع من الاحاديث منذ تعرفت على عدد من الصفحيين ومن بينهم صديقي الاستاذ سمير المحرر باحدى المجلات المصورة التي تعتني بشؤون الفن والفنانين .. اذكر انه اصطحبني معه في العام الماضي لمقابلة فنان كبير جاء الى دمشق لأحياء حفلة خاصة ثم اعتذر لمرض قال انه اصابه . وربما عن اشياء لا تمت الى الفن بصلة .. تكذيب اشاعة .. ونفي خبر ، وتأكيد المرض ، واذكر ايضاً ان الفنان الكبير قد احال صديقي الى احد المصارف ليقبض مبلغاً محترماً . كان يستشيرني في كثير من كتاباته .. ويطلب الي بعض الاحيان ان اكتب شيئاً ما في مواضيع فنية .. وكثيراً ما كنت اتهرب .. وذات مرة اخذني برفقته الى لبنان لنقضي ثلاثة ايام في ضيافة مطربة ناشئة كان قد كتب عنها مدافعاً في قضية اخلاقية .. وانتبهت لصوت السيدة تهاني وهي تأمر الجرسون الذي كان قريباً يحاسب الطاولة المجاورة ليأتينـــا بفنجانين من القهوة .. واضافت السمراء تقول له :

ـ سادة ياحسين .

واغلق سمير الدفتر الاسود المترف الغلاف ودسه في جيبه الداخلية مع القلم الانيق المظهر واخذ يتابع حديثه مع المطربة وبدا كأنه يتفق معها على شيء ما .. وقربت السمراء فمها من اذني وسألتني بصوت مهموس :

ـ ماهو رأيك .. هل تستفيد ؟

ـ تستفيد من اي شيء ؟

ـ من الريبورتاج .

ـ طبيعي .. طبيعي .. مؤكد .

ـ وهل سيجعلها مشهورة ؟

ـ طبعاً فلقد شهر غيرها .

ـ وهل سيلفت اليها انظار المخرجين ؟

ـ طبيعي .. فالمجلة تصل اليهم جميعاً .

ـ هل انت تعمل معه ؟

ـ تقريباً .

ـ اذن ستكتب لي ريبورتاجاً .

ـ طبيعي .. طبيعي .

ـ بعنوان ضخم .

ـ وصورة ملونة .

ـ متى نتقابل ؟

ـ عندما تشائين .

ـ لكن غداً .

ـ حسناً .

ـ او بعد غد .

ـ حسناً .

وعندما انتهينا من حديثنا كان صديقي ورفيقته قد انتهيا من حديثهما ايضا .. وجلسا يدخنان بصمت .. وبدت الست تهاني وكأنها تتهيأ للانصراف .. وجاءنا الجرسون بفنجاني القهوة وقدمت لنا الست تهاني آخر سيجارتين كانتا في علبتها المترفة .

وانصرف اكثر الرواد .. وهدأ الجو .. وخيم علينا صمت حبيب لا يسمع فيه الا صوت رشفات القهوة .. ودخان سجائرنا الذي اخذ يتصاعد صامتا عطراً فوق رؤسنا حلقات حلقات ..

أسمري

أسمري .. ماذا تريد .. ؟
اليوم عيدك ، كن سعيد
شفتاي ذكراك تعيد
ذكراك في يوم فريد ..
يوم انقضضت اشتهاء عليهما
وهمست لي ، اليوم عيد
أسمري .. هل تريد ؟ من جديد
ان تشعل الحب الشديد
بقبلة اليوم الوحيد
هاكها .. خذها
ولكن ...
من بعيد

دمشق ـ سهران سنبل

قريباً

فقراء الناس

مجموعة قصص

للكاتب الاديب جورج سالم

ومادية مفرغة . وانصرفت الست تهاني بعد ان اتفقت مع صديقي على موعد الزيارة في اليوم التالي .. وتبعتها بعد لحظات السمراء .. وقمت وقام صديقي .. وصفقت وسأل الجرسون عن الحساب :

ــ واصل يابك .

ــ واصل من مين ؟

ــ الست تهاني يابك .

ــ طيب شكراً

وطلب كأس ماء وعلبه سجائر وتركته ينتظر .. ووقفت انتظره قرب « البار » .. واخرجت لفافة .. وقبل ان اشعل عود الثقاب جاءتني رائحة عطرية حبيبة :

ــ ولع ياأستاذ .

ــ شكراً .

ــ هل انت ذاهب ؟

ــ نعم ذاهب .

ــ وماذا عن .. ؟

ــ عن ماذا ؟

ــ عن الموعد .

ــ الموعد .!؟

ــ الموعد .. والريبورتاج .

ــ الريبورتاج .. !

ــ ايوه .

ــ .. آه .. فهمت .

ــ والتفت شمالاً ويميناً .. وقربت فمي من اذنها وهمست كأني اقول سراً لا اريد ان يسمعه احد :

ــ زجاجة ويسكي وخمسون ليرة .

اللاذقية ـــ سليم زهدي

اليراع المسحور

بقلم : عبد المنعم التونجي

تلك قصة حب عاش بطلها فصولها حقيقة واقعة .. وما زال يعيشها ، فهي قصة حب بريء خالص لايبغي من ورائه عبثاً ولا دنساً ولا مجوناً ، انما الطهر والقداسة والعفة ..

ورغم كل هذا فالخطوب توالت عليه والحظ لم يواله .. ففشل وانهار كيانه وغـاب عن عالم الوجود لينضم الى موكب الحيارى ، ومن يدري ما يصنع به القدر ، ترى ايحب مرة اخرى من جديد فلا يسعفه القدر كما حدث في المرة الاولى ، هذا مالا نعلمه ، فالله أدرى به والقصة وحدها هي المفسرة لذلك .

« عبد المنعم »

وارتجف القلم بين اصبعيه عندما امسكه ليخط به رسالته الى تلك التي احبها فأدمت قلبه وعصرت فؤاده وعصفت بروحه وشغفت نفسه ، فقلبت حياته الى نوع من الجحيم ونقلتـه من عالم الطهر والقداسة الى عالم مليء بالاوحال لايدري كيف ينقذ نفسه منه وينجو من الغرق في عبابه .

كان مشرد اللب ، مضطرب النفس ، لايجد النوم سبيلاً الى عينيه ، عندما بدأ بالكتابة ولكن القلم لم يطاوعه ولكن تفكيره لم يسعفه ، رغم سعة التفكير وقوة التعبير ، وحسن السبك ، وجزالة الاسلوب .

وأعاد الكرة فارتجف القلم وارتجفت معه نفسه ، وارتشف بنهم قدح الشاي الذي امامه حتى افرغه بتمامه ، ومزق الاوراق واخرج اوراقاً جديدة غير التي اخرجها اول مرة ، فهـذه ماسية اللون معطرة بأريج عطري رائع يسحر النفس ويسكر الروح ، وخط بالمداد الاخضر على ذلك الورق المعطر قائلاً :

عزيزتي ..

تذكرين العام المـاضي وأيامه الخوالي عندما كنا نقضي الساعات الطوال ، ولربما النهار بأكمله ونحن لانشعر ، تـديمين النظر الي ، وأديم النظر اليك ، فلا أرتوي لانك شعلة الجمال المقدسة وربة السحر الحلال ، فأنت روحي ، وانا اعبد هـذه الروح فأتخيلك في صبحي ومسائي ، وفي غـدوتي ومرحي ، أتخيلك في محراب الجمال والحب ، أصلي في ذلك المحراب ، وعند المساء كنت اقف أمام الشرفة فتبسمين وتغمضين الطرف .. وعندما اقبلك في تمام الساعة الرابعة من كل مساء كنا نجلس على صخرة وكأننا روح واحدة عصفت عليها أنسام الملائكة وجمعت بين قلبيها شرايين واحدة لتصب في ذلك الجهاز الذي يسمونه القلب ، هو قلبك ، وهو قلبي المعذب المحطم الآن ، المدله الآنس المفعم بالحب والخير والرجاء بالامس .

تذكرين ياعزيزتي .. عندما كنت تجلسين بقربي كأنـك اقحوانة في اصيص مذهب تفوح رائحة تلك الاقحوانة العطرة فتمتزج مع النسيم لاستنشقه عبيراً ارجاً يهب علي من عالم رحب فسيح كقبة هذه السماء الزرقـاء ـ يموج بالازاهير والحب والجمـال ..

والآن تعلمين كم .. وارتجف القلم بين اصبعيه للمرة الثالثة وبكت عيناه فانهمرت دموعه غزيرة على الرسالة لتمتزج مع المداد الاخضر ، فتكون حقاً رسالة كتبها بدم القلب وبقلب دام ، وبدموعه المختلطة مع التي كانت تعلو وتهبط كأنها آلة ميكانيكية تسير باتزان جيئة وذهوبا .

والان .. تعلمين كم اقاسي بعد ان هجرتني رغم حبي لـك

ياحياتي ، ولا ادري السبب في كل هذا سوى انني كنت اؤمر فأطاوع واسلم الامر لانفذه ، فكنت كدمية تحركينها كيفما تشائين وتعبثين بقبلي كيفما يحلو لك العبث ، كما كنت اعبث بصفاء وسلام فتبتسمين وتضحكين ، واليوم لا اعلم ما الذي حولك عني لتعيشي مع انسان آخر غيري لم تحبه من قبل ولا تعرفينه .

واخيراً لن اطيل عليك ياحياتي . . فان قلبي يعتصر الماً وانفاسي تكاد تتحشرج من الغم ولا ادري عما اذا كنت سأعيش يومي هذا ، ام اكون في طي النسيان ، فان عشت فانني سأعيش بألم على مضض ، وان مت فاحملي الازاهير وخاصة الورود الحمراء المحببة الى نفسك التي كنت تحمليها كل مساء وانثريها فوق قبري ولك شكري .

« المخلص الى الابد »

مالك

وختم رسالته مع الدموع ولفها برباط احمر واسود واغلق المظروف ، ووضعه باجلال تحت الوسادة ليبعثه في اليوم الثاني الى تلك التي احب .

• • •

كان ذلك في صيف عام ٩٥٧ عندما قطنت عائلة جديدة في الشقة المقابلة لشرفتنا . كنت وقتئذ على الشرفة عندما كانت العربات وصيحات الحمالين تتعالى وهي تنقل الاثاث والرياش الفاخرة الى الشقة المذكورة ، وكنت المح بين الحين والآخر شابا وسيم الطلعة بهي الهيئة تبدو عليه سيماء الثراء يخطر بقده الاهيف فيأمر وينهي .

لم يكن يخطر على بالي شيئاً ما ، سوى انني توسمت الخير في حلول هذه الاسرة الجديدة مكان تلك القديمة التي كانت امي تتشاجر معها كل يوم لاسباب تافهة جداً .

توسمت فيهم الخير عندما جاءت امي وكنت معها لنبارك هؤلاء الجيران الجدد مسكنهم ولترحب اجمل ترحيب بحلولهم وخاصة ان صفات الاحترام والتقدير تبدو على وجوههم

وجرى التعارف كالمعتاد فقدمت امي نفسها الى ربة الاسرة الجديدة قائلة : اعرفك على نفسي نحن الجيران الذين نقطن في الشقة المقابلة لشقتكم تماماً « ام غطفان » من عائلة « الامين » وهـذه ابنتي هيفاء واشارت الى ابنتها التي بقربها وكانت ممتلئة الجسم لمياء الشفتين دقيقة الانف ، يعلوه عينان زرقاوان نجلاوان ، يظللها حاجبان رقيقان ، شعرها اشقر ذهبي تهب عليه النسمات فيزيده لمعانا كأنه الذهب الابريز يفوح منها عطر الانوثة وماء الشباب .

ثم قدمت القاطنة الجديدة نفسها : « ام امير » من عائلة « الآغا » زوجي مزارع ثروت الآغا وهاهو ابني مالك في صف الشهادة المتوسطة واشارة اليه باصبعها فكان يجلس بقربها ، وكان حلو القسمات ، ازرق العينين تبدو على وجهه معالم الرجولة رغم صغر سنه ، يتدفق حياء وخجلا . ثم تابعت الام حديثها ولي ابن آخر يكبره سنا ، في صف البكالوريا هذا العام ، وهذا هو عصمت واشارت اليه ايضاً وكان طفلا صغيراً لا يتجاوز السادسة من عمره .

وطال الحديث واندمجت ام امير مع جارتها في حديث طويل .. ثم انقضت الزائرة الى منزلها وتحمل في مخيلتها الشيء الكثير عن تلك الاسرة الجديدة ، وتوالت الزيارات .. وكل مرة كانت الصلات تتوطد اكثر فأكثر .

وكانت في كل مرة تزور فيها ام غطفان جارتنا كان ظل ابنتها هيفاء يتبعها كأنها هي ذيل لها .

• • •

وتوالت الايام .. وتعرف مالك على اولاد الحي الذين في سنه كما تعرف اخوه الصغير على رفاق جدد ايضاً يشاركهم العابهم وافراحهم .

وبدأ مالك بزيارة اصدقائه ومنهم غسان ذلك الفتى الذي يقطن بجانبهم ، فهو اقرب الى الشباب منه الى الفتيان ، طويل ، رغم صغر سنه ، ممتلئ الجسم او قل سمينه يتقدمه كرش كبير ، اسمر اللون ، كستنائي الشعر يضع على عينيه نظارتان يشك في انهما طبيتان ، خفيف الظل رغم سمنته وسذاجته .

ومع كل هذا فقد كان خبير الحي ، وكان خير مفيد لمالك في التعرف على اهل الحارة ، يجر غسان مالك من يده واخذ يشير الى بيت فلان .. وبيت فلان .. والى هذا وذاك ، والى هذه وتلك .. فهذه بنت عائلة « الـ » . والدها طبيب ، وهذه اخرى اسمها ليلى لا بأس بها ، حتى اخذ صاحبنا مالك فكرة ضخمة كبيرة كضخامة رأس غسان عن هذه الاسر والعائلات التي تقطن في حيهم ، واشار من جملة ما اشار الى ابنة ام غطفان جارتهم المطلة على شرفتهم .

لم ينم ليلتها مالك فقد بدا يتحرك في فكره شيء ، وبدا يشعر بأنه يميل الى تلك الفتاة جارتهم التي اشار عليها غسان ، اذن كيف يبدا الطريق ، لابد من طريقة يولج منها الى قلب

هذه الفتاة التي مال اليها وكتم في نفسه امرا ، فالامر سهل مادام صديقه غسان بقربه ، ونام ليلتها وهو يفكر في – الصباح الذي سيتلو ليله هذا ليقوم ويشق الطريق بنفسه .

لابد أنها تخطر على الشرفة فليحاول ان يرقبها في شرفته المطلة على شرفتها ، ومرت ايام .. ولم تظهر ولو لمرة واحدة على الشرفة وكاد يفشل في هذه الطريقة وكاد يجن ويقتله اليأس لولا انه في اليوم الاخير الذي نفض منه يديه ظهرت امام عينيه عندما سمعت صوته يشدو بأغنية محببة الى نفسها من تلك الاغاني الشائعة وكان مطلعها « اسمر يا اسمراني ... » وغضت الطرف عنه وشغلت نفسها باسقاء الزرع وتقليمه وازداد هو شوقاً اليها وتطلعا الى وجهها الوضاء ونظر في ساعته فاذا بها الخامسة وهو موعد ذهابه الى الدرس .

وكان اليوم الثاني وفي نفس الزمان والمكان ظل يرقبها الى ان خرجت فابتسمت محيية فاحمر وجهه خجلاً اذ كيف يبادلها الكلام وهو لم يكلم انسانة قط طول حياته ، وتجرأ ورد لها الابتسامة بخجل ثم دلف الى الباب ليذاكر دروسه ، وكان اليوم الثالث وخرج الى الشرفة وكانت تنتظره فحيته بنفس الابتسامة كما حياها بنفس الخجل وهكذا تكررت العملية كثيراً في الايام المتتابعة فأصبح لا يخجل ولا يبالي فقد تمرن على هذه العملية البسيطة وتناقلا اطراف الحديث ، احاديث الشباب الوثاب واحاديث الحب بلغة الايادي والعيون ، وبدأ يتلاقى معها كل يوم صبحاً ومساء ، كانا يتلاقيا على صخرة في الحديقة البعيدة عن المدينة قليلاً قرب الجدول العذب ، وتبادلا الحب ، وتبادلا الحنو والمزاح والافراح والمسرات .

وبدا لا يستطيع الدرس الا على ذكراها ، ولا يغلب جفونه الا بعد لقياها .. وعاشا عاماً كاملاً وبعض العام على هذه الحال ، يلاقاها فتلقاه ، ويشاركها افراحها واحزانها فتشاركه بالمقابل ونجح هو الى الصف العاشر ، كما نجحت هي الى ذات الصف وعاشا حياة سعيدة ملؤها العطف والحنان لا يرتق صافيها رائق ، ولا يعكر جوها معكر .

وكان يوم ثلاثاء ولم تحضر هيفاء في الميعاد المعين ولم يفهم السبب في عدم الحضور وزاد في غضبه عدم اخبارها له بشيء من هذا ، وكاد يجن وكاد ينتحر ، ولماذا ينتحر مادام هناك شعاع من نور وخيط من امل ، ولا يدري هل سينقطع هذا الخيط ويخبو ذلك الشعاع ، وجاءت ام غطفان لزيارة امه لتعلن بأن هيفاء ابنتها خطبت وعقد القران من قبل شاب ذو ثقافة ، وسيم ، حلو التقاطيع ، وبدأت تقص قصة هذا الزواج ، ومالك يعتصر قلبه ألماً من الداخل اذ كان خلف الباب يتلقط الحديث ويرق السمع الى ام غطفان فيكاد يلتهمها ويستل سكينه ليقطعها اربا اربا لانها سرقت محبوبته منه . ولكن ما الفائدة ، وانهمرت دموعه وغرق في بحر خضم واسع وبدا اليأس يتسرب الى نفسه ، وامسك اليراع ليخط رسالة ينهرها فيها على هذه العملية المموجة ويؤنبها على هذه الفعلة الشنيعة ، وحشى الرسالة بالعتاب ، واتبعها برسالة اخرى وثالثة ولكن يراعه خانه وارتجفت اصابعه عدة مرات فظن يراعه هذا سحرته المردة والشياطين فقذف به الى بيت هيفاء وكتب بقلم آخر هذه الرسالة التي قرأتها وغاب عن عماله حزيناً كئيباً لينضم الى موكب الحيارى الذين يعذبهم الحب ويضنيهم الشوق والالم ، ومن يدري ترى هل سيعيش يومه هذا بسلام ، فيكلم والدها بأمر حبهما فلربما فسخ الخطبة تلك وزوجها منه ليعيشا في عالم تحيط به السعادة من كل جانب ، وتدثر بانفاسه ودموعه وبدأ ينشج نشيجاً متقطعاً على محبوبته التي اضاعها وغاب عن وعيه .

حلب – عبد المنعم التونجي

(التائه)

ايها التائه في الارض .. وما تعرف دربك
يارفيق الامسيات السود ، ما أبيض قلبك
انت ليل .. شاعري البؤس ، كم ليل احبك
كم رؤى وردية الاوهام .. لا تبرح هدبك
غني ياليل ، واسق يابس الازهار حبك
وانثر الاوهام .. وانسج من ندى الادمع ثوبك
غني .. ماعشت كي تنسى على الايام صحبك
انا ابدعت الرباب الحلو .. كي اسمع عتبك
ان تول الفلك الباكي ، فذنب ليس ذنبك
عد الى الكوخ .. الينا .. قبل ان تقضي نحبك

فيض الله الغادري

جميله

شعر

كريم أحمد

– كويت –

اختاه ،
والرعد المدمدم
في الجزائر ..
اختاه ،
والشهداء ،
من زخرت بهم
تلك المقابر
اختاه ،
باللهب الغضوب
على ثراها
بالمجزرة . .
بالمدفع العربيد ،
يرعد ،
في الحافر ..
بالهمة الابطال .
بالمليون ثائر . .

اختاه اقسمنا ،
بكل مقدس ،
ملء الحناجر .
سنخوضها حرباً ،
لتحرير الجزائر .
اختاه ،
يا رمز البطولة
والفضيله .
يا جميله ...
يا صرخة ،
للحق
افزعت الخفافيش الدخليه
تلك المآسي
يا فرنسا .
وصمة ،

للعار ،
تحدوها الرذيله
ويحي فرنسا
لن ، تكون جزائري
ابداً ،
ذليله ..
ابداً ،
سنمضي .
والدماء سبيلنا ،
أبداً ،
سنمضي .
في طريق .. جميله .
يا اخت اوراس الحصين
لك الخلود ..
شعارنا .. تحيا .. جميله

– اليتيم في العيد –

دعني اردد في الآفاق احزاني
مالي وللعيد ابغيه وارقبـــه
هم يلبسون ثياب العيد غالية
وارتدي ثوبي المكروه منظره
ويطعمون من الالوان مارغبوا
وانزوي بين دار كلها نكد
نشكو الى الله مانلقاه من الم
آتاهم الله ما فيـــه لناسعة
رباه انك ذو فضل ومرحمة
كفاك اندى عطاء من اكفهم

اخفف الهم ان اليتم اشجاني
وقد جفتني بين الحي اخداني
مزركشات بأشكال والوان
كأنني فيه ميت بين اكفان
واكاني بين ما يلقيه جيراني
أشاطر الام في هم واحزان
والناس في هرب منا وامعان
فأنكروه وجاؤوا شر عدوان
وانت في كل حال خير معوان
والخير منك فأدركنا باحسان

اللاذقية : سعاد بكباشي

آباء وامهات

قصة

ايرل باك

فوق سطح الماء الذي كان يغرق المدينة على مدى آفاقها ارتفعت قطعة من الارض اليابسة ، وقد تراكمت فوقها كومات صغيرة تبدو كأنها نشأت عن فيضان المياه. كانت هذه الكومات تتألف من بعض مقاعد خشبية وطاولة قروية وصندوق وقدر حديدية موضوعة فوق مدماك خزفي مقعر سوده الدخان ، ولكن هذه القدر ظلت باردة منذ اسابيع ، اذ ليس هناك من وقود لاشعال النار ، لأن الامواج اتت على كل شيء .

ان كلا من هذه الكومات تمثل حطام منزل اوحقل ، أما الباقي فقد غمرته الامواج حيث ترقد الغلال أيضا ، وكل مازرعه الناس ولن يحصدوه أبد الدهر . وتجمعت بعض الكائنات الانسانية حول اشياء استطاعوا ان ينقذوها كانوا رجلا وامرأة اطفالاً ولكنك لاتكاد تجد بينهم شيوخاً وعلى العموم فاسرة لا تتألف الا من الآباء واولادهم . ان بين الوالد والوالدة مشادة عنيفة وان صمتاً رهيباً يغشاهما . فما القضية ؟

ثمة والد ، انه مزارع شاب يرسل لحظاً ضجراً الى زوجه لابد انهما تزوجا في سن مبكرة ، لانهما انجبا خمسة اولاد ، لايكاد البكر منهم يتجاوز سنته الثامنة . اما الوالد فلا تعطيه اكثر من ست وعشرين اوسبع وعشرين سنة ، والوالدة اصغر من ذلك ايضاً .

لقد هزل جسم الوالد . لقد كان رجلا اسمر شديد السمرة ذا مزاج صلب ، يشابه هؤلاء الفلاحين الذي تلقاهم في كل مكان من الريف . فلاح يجهد في ان تكون له حقول اجيدت فلاحتها وكومات من الحب الاصفر (وغلال من النوع الجيد) يفخر بها لانها ثمرة تعبة ويشعر بسرور اذ يرى انه انسان مجد ، وجدير بثمرة تعبه .

ان له وجهاً جميلا وان يكن رزينـــاً وقاسياً بعض القسوة . ولايزال يعلو اساريره هذا التعبير الذي ينم عن طيبته رغم المرارة الراهنة ان عينيه نبيلتان ولكنهما مترعتان باليأس .

لم تكن الوالدة تنظر اليه إلا خفية ، ثم لا تلبث ان تحول عنه بصرها . لقــد كانت فيما مضى فلاحة جميلة ، مستديرة الخدين ، متحررة القدمين ولولا هزالها لبدا جسمها قوياً . اما الآن فقد غارت عيناها . واتخذ شعرها الاسود لوناً اشقر وقد عبثت به الريح ذلك لانها لم تسرحه منذ ايام بعيدة كانت لاتني تمرر لسانها على شفتيها الجافتين لتبللهما . ولكن لم يكن لعملها هذا من جدوى .

كانت في شغل دائم . فهي تراقب اولادها باستمرار وان اثنين منها لايفارقانها ابدا . احدهما معلق الى ثديها الذي غدا قطعة من الجلد فارغة ذابلة ، ومع ذلك فلاريب ان المخلوق الشاحب الذي تضغطه امه الى صدرها كان يجد شيئاً من العزاء لان ثديه خف بعض الشيء . وكانت تحمل فتاة في الثانية من عمرها هادئة صامتة متقضنة الجسم .

اما الاولاد الثلاثة الباقون فقلما كانوا يتحركون . ولكن ما ان ينزوي احدهم أويقترب من حافة الماء حتى تناديه الام صارخة ولايهدأ لها بال الا اذا اصبح جميـــع اولادها تحت متناول يدها . وفي الليل كان قلقها يتضاعف فلا تستسلم للنوم بل تحتفظ بأولادها بالقرب منها وهي تنفض عنها حمولها عشرات المرات لكي تلمسهم بأصابعها لمساً سريعاً هل اولادها الخمسة كلهم هنا ؟ اين الفتاة الاخرى ؟ نعم هاهي ذي . لقد اكتمل العدد وتسأل أباهم بلهجة قاسية اذا مابدرت منه اية حركة خفيفة :

ــ ماذا تصنع ؟ ومايضايقك ؟

وقد ينفجر الرجل احياناً فيستنزل عليها اللعنات ويشتمها ولكنها لاتجيبه ابداً لانها تعلم لماذا يشتمها ، بل تحتفظ بأولادها بالقرب منها ولاتني تعدهم في الظلام دون ان تتعب .

وهي تجهد ان تبدو ، في الصباح ، منهمكة في اعمال كثيرة كما لو كان عليها ان تهيء طعاماً كثيراً فتخرج الماء البارد من النهر وتخلطه في قرنة بقليل من الدقيق الذي بقي عندهم . وتحاول ان تقول بلهجة باسمة :

ــ في الحق ان الدقيق الذي عندنا لا اكثر مما كنت أظن سوف يكفينا أياماً كثيرة .

وتوزع الدقيق بحيث يكون القسم الاكبر من نصيب الوالد . وتسكت تحيب ابنيها الكبيرين وهي اشد ماتكون ذعراً وتحدج بنظراتها اباهم الذي ينظر اليهم جميعاً نظرة قاتمة

من غير ان ينبس بكلمة . وتدخر اصغر الاقسام ثم تبتلعه بصخب عظيم وتعلل ، كلما وجدت الى ذلك سبيلا ، بأنها لاتشعر بالجوع ، او بأنها تعاني آلاماً داخلية ، فتغافل زوجها لتسارع الى اطعام الطفلين الصغيرين سراً .

ولكن مثل هذه الحيل لم تكن لتجوز على الرجل ، فما ان يراها حتى يسخط ويصرخ .

ــ لااريد ان تموتي جوعاً حتى ولوكان ذلك في سبيل انقاذ اي منهم .

ولا يطمئن له بال ، الاحين يراها ترفع الاناء الى شفتيها فتشرب مافيه على جرعات صغيرة متكلفة لتوحي بأنه لم يفرغ بعد .

ولكن هذه التصرفات لاتمنع الرجل من ان يلحظ ان المدخر قليل جداً او يسمع انين اولاده وهم يطلبون الطعام انهم لايطيعون دائماً امهم التي تحاول اسكاتهم فيفجرون في البكاء .

لقد كانوا فيما مضى مليئة اجسامهم ، ووردياً لونهم ولم يكن ينقصهم شيء ، وهم لم يفهموا لماذا غمر الفيضان المدينة . وخيل اليهم ان على ابيهم ان يوجد طريقة لمعالجة الفيضان . كان من عادة والدهم ان يمضي فيجلس على ضفاف الماء ويصم اذنيه عن بكاء اولاده . واذ ذاك يتجمد وجه الام فزعاً فتتضرع الى اولادها وتتمتم قائلة :

ــ لاتخرجوا اباكم عن طوره ، اصمتوا ، اصمتوا .

وينظرون اليها فيستروحون من خلال وجهها خطراً مجهولاً ، فيحملهم الخوف على الصمت .

وهكذا كان يتتابع بين الابوين نزاع صامت وحاد ، ففي كل يوم يتناقص الدقيق في السلسلة والفيضان لايزال كما هو ، وفي كل ليلة تحصي الام اولادها في الظلام .

ولكن يستحيل عليها ان تحرم نفسها النوم ابد الدهر ، وكانت ليلة نامت دون ان تشعر بذلك ، لان جسمها كان محروماً من الطعام . لقــد كانت ذراعاها تمتدان فوق ابنائها ، فلم تسمع الوالد يتحرك ويخطب ابنتيه الصغيرتين الصامتين بصوت خفيض ، وسارت البنتان خلفه ، على بعد مسافة منه ، بثقة . وبعد حين عاد الرجل وحده يتعثر في مشيته واضجع في الظلام . وصعد مرة او مرتين تنهدة عميقة كانت تنفلت منه كأنها النحيب .

واستيقظت الام فجأة . كان الشفــق رمادياً وكانت مذعورة وقبل ان تصحو واحست بأنها نامت . كانت يداها تتلمسان اولادها « اين الاثنان الاخران .

انتصبت على قدميها وراحت تصرخ وقد غدت قوية فجأة ثم اسرعت نحو زوجها وتملقت به ونبحت :

ــ اين الصغيرتان :

وظل الرجل متلبداً على الارض ، وراسه منحن فوق ركبتيه ولم يحر جوابا . اما الام فقد خرجت عن طورها كانت تبكي بكاء المجانين . وامسكت زوجها من كتفه وصرخت :

ــ انا أمها . انا أمها .

وايقظت الصرخات كل الناس في هذا المخيم البائس . ولكن لم يرتفع اي صوت . لان كل انسان عرف سر المشكلة فهذا النقاش نفسه يتكرر في كل مكان . كانت المرأة تئن انيناً مخيفاً . ثم قالت بصوت متقطع .

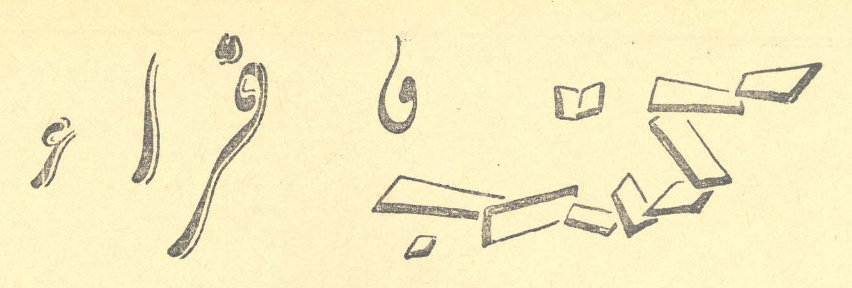
ــ لم تكن الام ، تقوم ابداً بمثل هذا العمل فليس هناك من لايحب اولاده ويأسف على الطعام القليل الذي يأكلون غير الاباء .

واذاك فقط صمم الرجل الكئيب ان يجيب ، فرفع جبهته من فوق ركبتيه ونظر الى المرأة في القمة الرمادية وقال من بين شفتيه :

ــ اذن فأنت تعتقدين بأنني لم اكن أحبهما .

ــ وادار راسه ، ثم اضاف بعد لحظات . « لن يشعرا بالجوع بعد الآن » ثم شرع يبكي فجأة بدون ضجة . وامام هذا الوجه المنقبض صمتت الام نفسها .

الثقافة



شعراء رمزيون وشعراء معاصرون

للاستاذ سعد صائب

بقلم

جورج سالم

هذا كتاب جديد اخرجته منشورات عويدات ببيروت للاستاذ الاديب سعد صائب وقد صدر بمقدمة جميلة كتبها الشاعر الانيق الدكتور بديع حقي.

والكتاب في جملته عرض طيب لمدارس الشعر الفرنسي ولاشهر ممثلي اتجاهاته في نحو قرن من الزمن.

ولاشك في ان الفكر العربي اليوم بحاجة ملحة الى ان يوسع من افقه باطلاعه على الافاق الغربية، ولست ارى اصدق من كلمة جوته التي قدم بها المؤلف كتابه في التعبير عن هذه الحاجة. يقول جوته:

« اننا اذا لم نباشر في التطلع حولنا، خارج نطاق الحلقة الضيقة المحيطة بنا، فلا شك في اننا سنصاب بعقم فني، انني اشعر بلذة هائلة عندما اتمتع بثمار الامم الاخرى، وانني انصح كل شخص بأن يحذو حذوي.. ان الادب المحلي لم يعد له معنى كبيراً، لقد بدأ عصر الادب العالمي غير المحدود. »

اما الخطة التي سار عليها المؤلف فواضحة غاية الوضوح. فهو يتناول اشهر ممثلي المدارس الشعرية بالحديث، ثم يعقب على ذلك بترجمة نماذج يختارها من شعرهم.

وهكذا نراه يحدثنا عن بودلير وفرلين ورامبو ومالرمين وجان مورياس والبير سامان واميل فرهارين وسولي برودوم من شعراء المدرستين البرناسية والرمزية، ثم ينتقل الى الحديث عن الشعراء المعاصرين كبول جيرالدي وليون موسيناك وبول ايلورارا.

ويتضح من هذا ان عناية المؤلف في معظمها الى شعراء النصف الثاني من القرن الماضي وليس هذا بعجيب، فهولاء آتوا اكلهم واتضحت الى حد بعيد مزاياهم الادبية وخصائصهم الفنية. اما الشعراء المعاصرون فلا يزالون ينتجون ولعل بعضهم لم يكتب كلمته الاخيرة. ولكننا نعتقد مع ذلك ببعض كبار الشعراء المعاصرين فلا نجد لهم اثراً بين دفتي الكتاب كبول كلودبل، وبيجي واراغون وغيرهم.

قلت ان المؤلف ينتقي بعض القصائد التي تمثل فن كل شاعر واتجاهه، ويقدم لها بمدخل صغير عميق مكثف يتحدث فيه عن الشاعر وخصائصه بشكل عام، ولهذا المدخل قيمة كبيرة في نظري.

اذ يصعب على القارىء ان يفهم او يتذوق الشعر عامة وشعر الشعراء الرمزيين خاصة ان لم يكن مزوداً بشيء من النور يتيح له ان ينفذ الى صميم الشاعر وعمله الفني، والى تطوره الروحي ومنحاه الفكري بشكل عام فالادب الرمزي ادب غني لاشك. ولكنه ادب معقد صعب في الوقت ذاته، ولا يمكن التجاوب معه الا بعد جهد طويل.

بل ان المؤلف مضى الى ابعد من ذلك حين ترجم مرة المقدمة التي كتبها فرانسوا كوبيه لاحد دواوين فرلين. واعتقادي ان هذه المقدمة على صغرها تعبر بصدق وجمل عن اعماق فرلين وآفاقه. يقول كوبيه في مقطع منها (ص. ٣٥)

« في هذا الشعر، بل في هذا النغم الحلو الخفي، الذي لا يقلد، يحدثنا فرلين عن شتى رغائبه، وتباين خطيئاته، وجل ندمه وتحنانه واحلامه، فيكشف لنا عن روح مضطربة قلقة صاخبة، ولكنها رغم ذلك صافية ساذجة بريئة!

ويقتضينا الانصاف ان ننوه ببراعة المؤلف في الترجمة، ولا سيما حين نذكر انه انما يترجم شعراً لا نثراً، وعملية ترجمة

البقية على الصفحة «٦٢»



شعر منثور لادفيك جريديني شيبوب
نقد عدنان ابن ذريل

بوح ديوان شعر منثور للسيدة ادفيك جريديني شيبوب ، دار الاحد ببيروت ١٩٥٤ .

قدم له الاستاذ سعيد عقل بكلمة وجودية في الحب والغزل وتمنى لبوح ان يحل محله في نهضة الغزل العربي الحديث .

وموضوع بوح وجداني ووصفي ، فهو أواجيد ذاتية ، واجتماعية ، وهو وصف للطبيعة ، وللجوانب من الحياة الاليفة فيه الرثاء والغزل والوصف والتأمل ، وقد حملها الشاعرة ادفيك سمة حزينة مشبوبة اسيانه ، هي سمة الحزن ، والكمد ، والحسرة ..

فقد رزئت الشاعرة ادفيك بزوجها في عمر البطولة ، فافجعها الرزء ، وامضها المصاب ، وآلمها الفراق ، فانبرت ترثيه بمرثيات تمجيدية ، كلها البوح والغزل ، وتتلهف لذكراه وتبكي حاضرها بعده .

والشاعرة ادفيك في بوح زوجة فقدت زوجها ، فارتأت ترثيه ، او ام تحنو على ولديها اليتيمين ، ترعاهما ، او هي سالية شابة يراودها العزاء ؛ فتحاول ان تسلو ، وفنانة اديبه تطرب للجمال تمجده في الطبيعة وفي الحياة .

وفي ادبنا الحديث انماط لصنيع صاحبة بوح ، فقد افرد عزيز اباظه لرثاء زوجته سفراً شعرياً ثميناً ، وكذلك فعل عبد الرحمن صدقي في رثائه زوجته ، وصنيع صاحبة بوح من هذا القبيل ..

تقول ادفيك في قصيدة حكاية عمري ، (ص ٤١) ؛ وما بعدها :

حدثني حديثه ياقلب
فملء جوانحي اليه
استفاقة شوق ، اي شوق !
اعد على مسمعي حكاية عمري معه ياقلب
سنوات اربع
ايامها كاشراق الضوء على ذرى صنين
ولكل ليلة من لياليها زغردة عرس
للسعادة فيه ، اي مرتع ..

وفيها تقول :

هل سمعت ياقلبي حكاية الصنوبرة الجبارة في « طل الشوير »
كيف شطرتها الصاعقة في ليلة هوجاء
شطراً احترق ويبس على الحضيض
وشطراً بقي
في شموخه الصامت
ينزف دماء توأمه الميت
اما عويله ونحيبه
فقد لفلفته العاصفة بجلباب ولوتها وصخبها
وحملته بعيداً .. بعيداً عن سمع بقية الصنوبرات في المطل ..

* * *

هذه حكاية عمري معه
اجل ، لقد عشت بعده
انما عشت انسانة ثانية
قلبها مغلف بجليد
كل املي الان :
زغلولان
متشبثان بي . يحببان الي الحياة
عندما يطبق اجفانهما النوم العميق في الليل
اجثو عند سريرهما
استطلع في وجهيهما بشوق
ملامح حبيب غاب
واستعيد في خاطري ذكريات سنوات اربع
هي ذروة سعادتي ، وذروة حبي ..

فتصور لهفتها الى ذكرى حبيب غاب ، كما تصور رزءها به وانها بقيت بعده يرثي بعضها لبعض ، بقيت انسانة مغلف قلبها بجليد ، املها زغلولان يحببان اليها الحياة ، تستطلع في وجهيهما ملامح من احبت ، وتحب ..

البقية على الصفحة «٦٢»

ـ شعراء مزيون ـ بقية

الشعر قد تبدو في بعض الاحيان أمراً يكاد يكون مستحيلا خاصة اذا كان هذا الشعر شعراً رمزياً او برناسياً كان اصحابه يحرصون بل ويبالغون في اختيار الالفاظ والمحافظة على التوافق والانسجام فيما بينها ، كما يحرصون على ان يكون لكل كلمة ، بل لكل حرف دور خاص في نسج القصيدة واحكام بنائها.

واليك مثالاً من ترجمة المؤلف الموفقة لقصيدة فرلين :

الدعوة الى الرحيل (ص . ٢٧)

يا صغيرتي واختي
الا حلمت بسحر الرحيل ؟
الرحيل الى هناك حيث نحيا معاً
نعشق كما نهوى
نعشق ثم نموت
في البلد الذي يحاكيك ؟؟

وآخر من قصيدة (العيون) لسولي برودوم ص ٩٣

زرق او سود
مقل بلا ظلال
يتملين اضواء الفجر
وهن غافيات تحت اطباق الثرى
وقد ارسلت ذكاء ارادها في الآفاق !

واغلب الظن ان المؤلف لاحظ انه لم يتحدث عن حياة بعض الشعراء الذين يقدمهم وينقل نماذج من شعرهم فألحق بالكتاب ذيلاً ذكر فيه الخطوط العريضة لحياة جميع الشعراء الذين جاء ذكرهم في الكتاب . ولكن هذا الملحق كان موجزاً في رايي وحبذا لو توسع فيه المؤلف قليلاً .

ولي بعد هذا ملاحظتان حول الكتاب ، الاولى ، ان المؤلف اكتفى في بعض الاحيان بترجمة قصيرة واحدة للشاعر (كما فعل حين قدم سيفان ملارق ورامبو ديول فاليري .) ويقيني ان قصيدة واحدة لا تكاد تكفي القارىء العربي للاطلاع على شعر هؤلاء الشعراء ، وان المرء ليتمنى لو يجد قصيدة (رمية نرد) او (عصر يوم من ايام اله الغابات) لملارين مثلاً او نماذج من الاشترافات لرامبو .

والملاحظة الثانية ان بعض الشعراء الذين ذكرهم المؤلف في كتابه هذا يحتاجون الى دراسة طويلة وافية سحبو ليرا وفاليري ، وكم اتمنى لو يفرد المؤلف دراسات اخرى يتناول فيها بعض هؤلاء الشعراء بمزيد من التوسع والدراسة بعدان عرفهم الى القراء في هذا الكتاب .

ومهما يكن من امر ، فان هذا الكتاب يسد فراغا كبيراً في المكتبة العربية الحديثة ، وان جيل الشاب المتلهف الى المطالعة سيجد فيه مدخلاً طيباً للادب الغربي ، وسيحمد للمؤلف ترجمته الامينة الصافية واسلوبه الناصع المشرق .

حلب ـ جورج سالم
من « الاصدقاء »

ـ بوح ـ بقية

وتقول في قصيدة رفيق الغدوة ، ص ٥٣ وما بعدها :

كأنك والفجر على موعد معي يابلبل .
اسبقك خطوة ، او تسبقني خطوة
فاتسلل الى الشرفة
واشرئب على رؤوس قدمي العاريتين
مرهفة سمعي الى كرات لحنك :
في انطلاقه الشجي ،
وفي تساؤله ، وتفاؤله
محدقة بك بك ، فرفرة مغناجا
وتأرجحا على حفاف الغصون
تحوك بعنقك خيوط الشعاع البكر
مداعبا بالمنقار الادق
خوافي الجناحين الممسوحين باللون المندى
ويالله كيف ينعصر قلبي اذ تغص باللحن
وترسلها صرخة منفعلة
فيها وجع .. وفيها فرح
وساعة قفلت حنجرتك على المدى
لكأنك ملك على عرشه
لمن يابلبل ـ غناؤك
ألاجرام لي « رفيقك الوحيدين ؟
ثم تطلب اليه ان يغني لها ، فالنجر لاه عنها وتقول :
فغن انت لي .. لي وحدي
وامسح جراح قلبي بنغمتك الطرية

وفي الديوان نماذج عديدة موفقة لهذه المواجيد الرقيقة السامية ، او هذه الاوصاف الطبيعية البديعة ..

لنذكر ختاما ، النهج الشعري الجديد للديوان ، فبوح شعر منثور ، تحرر من الوزن ، والقافية ، وهو حقا من اجود ماقرأنا لشعرائنا المجددين اليوم ..

اننا نحيي صدور هذا الديوان النفيس ، متمنين لصاحبته اطراد التوفيق والنجاح ، وفقها الله تعالى الى الخير ..

دمشق ـ عدنان ابن ذريل